شارل بيرّو

# حكايات أمّي الإوزّة



ترجمها عن الفرنسية

ياسر عبد اللطيف

مختارات مشروع «كلمة» من أدب الناشئة الفرنسيّ

شارل بيرّو

# حكايات
# أمّي الإوَزّة

ترجمها عن الفرنسية

ياسر عبد اللطيف

مراجعة

كاظم جهاد

الطبعة الأولى 1434هـ 2013م



PQ1877 .C5412 2013

Perrault, Charles, 1628-1703

[re l'OyeContes de ma me]

حكايات أمّي الإوَزّة / شارل بيرو ؛ ترجمة ياسر عبد اللطيف ؛ مراجعة كاظم جهاد.- أبوظبي : هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، كلمة، 2013.

173 ص. ؛ 17.8*12.5 سم.

مختارات مشروع «كلمة» من أدب الناشئة الفرنسيّ.

ترجمة كتاب : re l'OyeContes de ma me

أ-عبد اللطيف، ياسر. ب-جهاد، كاظم.

**هذه ترجمة لنصوص الكاتب الفرنسيّ شارل بيرّو**

**حكايات أمّي الإوَزّة**

**Charles Perrault, Contes de ma mère l'Oye**

**رسم الغلاف والرّسوم الدّاخليّة للرّسام الفرنسيّ غوستاف دوريه**

**Illustrations par Gustave Doré (1832-1883)**




www.kalima.ae

ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ فاكس: 127 6433 2 971+




ص.ب: 440050 ، الهدهد للنشر والتوزيع شارع دمشق - القصيص دبي - الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 042206117

---



---





# حكايات

# أمّي الإوَزّة



## هذه السّلسلة

يشكّل أدب النّاشئة أحد أهمّ أجناس الأدب العالميّ، تتبارى أكبر دور النّشر الغربيّة لاحتضان أفضل نماذجه، القديم منها أو الجديد. مبدئيّاً، يتوجّه هذا الأدب للنّاشئة ممّن تتراوح أعمارهم بين الثّامنة والثّامنة عشرة، فهو يتمّم أدب الأطفال ويمهّد لأدب الرّاشدين أو الكبار. ومع ذلك فما فتئت نصوصٌ عديدة منه تجتذب قرّاءً من مختلف الأعمار، لما يجدون فيها من فتوّةٍ للسّرد وعذوبةٍ للّغة وانتشارٍ باذخٍ للخيال.

رافقَ هذا الأدب، في صيَغه الشّفويّة، فجرَ جميع الثّقافات. واعتباراً من القرن السّابع عشر حوّله لفيفٌ من الكتّاب الفرنسيّين إلى جنسٍ أدبيّ مكتوب قائم بذاته وله أساليبه ومناخاته وقواعده. ولئن كان أغلب روّاده الكبار، وبخاصّةٍ شارل بيرّو وماري-كاترين دَونوا، قد أوقفوا عليه جلّ نشاطهم الإبداعيّ، مكتفين بالكتابة للنّاشئة، فإنّ العديد من كبار كتّاب الأجيال والقرون اللاّحقة قد خضعوا لجاذبيّة هذا الجنس، فخصّوه بأثَرٍ أدبيّ أو أكثر أضافوه إلى إبداعاتهم المنضوية تحت لواء أجناسٍ أخرى. بفضل صنيعهم هذا، لم يعد أدب النّاشئة محبوساً في إطار الشّائق والعجيب أو في مناخات قصص السّاحرات والجنيّات، بل صار يخترق كلاًّ من التّاريخ والواقع المعيش وجغرافية العالَم وآفاق الفكر الرحبة ويضيئها من داخلها، مصوِّراً إيّاها بعين الأجيال الصّاعدة وحساسيّتها. هكذا مارس هذا الجنسَ الأدبيَّ أساطينُ في فنون السّرد من بينهم رائد الرّواية التاريخيّة ألكساندر دوما والكاتب الواقعيّ غي دو موباسان وآخرون عديدون.

إنّ الغاية التي وضعت الكونتيسة دو سيغور رواياتها للنّاشئة تحت شعارها، ألا وهي تثقيف النّاشئة وتوعيتهم بوسائل الأدب والتّعجيب القصصيّ، تظلّ حاضرة بدرجات متفاوتة من الإضمار في كلّ النّماذج الكبرى من هذا الجنس. من هنا، فإنّ هذه السّلسلة، المخصّصة لترجمة مجموعة من

المؤلّفات العالميّة في هذا المضمار، والتي يساهم في نقلها إلى لغة الضادّ فريق من ألمع أدبائها ولغويّيها ومترجميها، إنّما تطمح لا إلى تزويد النّاشئة العرب بنماذج أساسيّة من هذا الجنس الأدبيّ فحسب، بل كذلك إلى إغناء الأدب العربيّ نفسه بإجراءات سرديّة وشعريّة قد يكون كتّاب العربيّة في شتّى ممارساتهم ومَشاربهم بحاجة إليها.

وللباعث نفسه، يتمثّل أحد رهانات هذه السّلسلة، من حيث صياغة النّصوص، في تحاشي التبسيط المفرط والإفقار العامد للّغة، اللّذين غالباً ما يُفرَضان على هذا النّمط من الحكايات، بتعلّة توجّهها للناشئة. بلا تقعيرٍ للكلام، ولا تعقيدٍ لا جدوى منه، سعى محرّر هذه السّلسلة ومترجموها إلى إثراء خيال الناشئة لا بالصّوَر والتّجارب فحسب، بل بالأداءات اللغويّة والإجراءات التعبيريّة أيضاً. ولقد بدا لنا خيارٌ كهذا أميناً لطبيعة النّصوص وكتابتها من جهة، وللمطلب الأساسيّ المتمثّل في إرهاف التلقّي الأدبيّ للناشئة من جهة أخرى. وإذا ما التبسَ على هذا القارئ أو ذاك معنى مفردةٍ ما أو صيغةٍ ما، فلا أسهلَ من أن يستعين بالمَعاجم أو يسأل الكبار حولَه إضاءتها له. هكذا تنشأ تقاليد في القراءة وتتعزّز طرائقُ تشاوُرٍ وحوار.

**المحرّر**

**كاظم جهاد**



## هذا الكتاب

يُعدّ كتاب حكايات أمّي الإوزّة للكاتب الفرنسي شارل بيرّو (1628-1703م) من كلاسيكيّات الأدب الأوروبيّ الموَجه للناشئة. وهو من الكتب التي اهتمّت في تاريخ جدّ مُبكر بجمع الحكايات الشعبية، أو ما يُعرف في التراث الأوروبيّ ب «حكايا الجِنّيات»، وبنقلها من التقاليد الشفاهيّة إلى الأدب المكتوب. ويضُمّ الكتاب تسعاً من هذه الحكايات، كتبها بيرّو بأسلوب سرديّ رفيع وبلغة أدبية جزلة. وقد راعى تنقيحها من الفجاجة التي كانت تشوبها في طورها الشفاهيّ؛ وإن لم يُحدّد المصادر التي استقاها منها.

صدر كتاب حكايات أمي الإوزّة في فرنسا لأوّل مرّة سنةَ 1697، وبذا فقد سبقَ بمائة وسبعة عشر عاماً كتاب حكايات الأخوين غريمْ Grimm الصّادر في ألمانيا، والذي يُعّدّ المصنَّف الأشهر في هذا المجال. ولم يعرف المؤرّخون تجربة سابقة على تجربة شارل بيرّو سوى كتاب البنتاميرون والمعروف أيضاً بكتاب حكاية الحكايات للمؤلّف الإيطاليّ جانباتيستا بازيله Giambattista Basile، والصادر قبله بخمسين عاماً.

لم يُترجم الكتاب في نسخته الكاملة حسبَ علمنا إلى العربية حتى الآن ترجمة أمينة كاملة، وإن تُرجمت بعضُ حكاياتِه بتصرّف، أو تمّ تعريبها على الطريقة القديمة، ونشرت متفرقّة في بعض العواصم العربية؛ ونذكر منها تعريب الكاتب عادل الغضبان لحكاية الحسناء النائمة، التي نشرتها دار المعارف المصرية في منتصف القرن المنصرم في سلسلتها الشّهيرة المكتبة الخضراء.

وتظلّ قصة ذات القلنْسوة الحمراء، والمعروفة لدينا بقصة ذات الرّداء الأحمر، أشهر حكايات هذا الكتاب في الثقافة العربية، وهي أمثولة تحذيريّة للفتيات من وحوش الحيوان ووحوش

البشر أيضاً، وقد تمّ تعريبها مرّات عدّة اعتماداً على كتاب بيرّو تارة، واعتماداً على نسخة الأخوين غريم تارة أخرى. وتختلف نسخة الاخَوين غريم بالألمانيّة في نهايتها عن نسخة بيرّو: فبينما تنتهي الحكاية لدى الأخير بالتهام الذئب للجدّة وحفيدتها، تنتهي نسخة الأخوين غريم نهايةً سعيدة، إذ يظهر فجأةً أحد الصَيادين فيشقّ بطن الذئب، ويُخرج الجدّة والحفيدة من داخله. وقد دخلت هذه القصة إلى صميم الوجدان العربيّ لصلاحيّتها للتداول في كلّ الثقافات، حتى أنه قد تمّ تعريب محتواها ذاته، وأصبحت تُعرف في بعض البلدان العربية بحكايةِ ليلى والذئب.

وشارل بيرّو واضع هذا الكتاب، هو أحد أهم وجوه الأدب الفرنسيّ في القرن السّابع عشر. له مؤلفات دينية عدّة، لكن تبقى الحكايات هي أشهر أعماله قاطبةً. وقد خدم بيرّو في بلاط الملك لويس الرابع عشر لسنوات، كما كان عضواً في الأكاديمية الفرنسية، وقاد في داخلها فريقَ المجدّدين في المعركة التي خاضوها ضد أصحاب النزعة التقليدية المحافظة بقيادة الشاعر نيكولا بوالو Nicolas Boileau.

**المترجم**

**ياسر عبد اللّطيف**

# إضاءات

حرصَ محرّر هذا الكتاب ومترجمه على ردّ عناوين حكايات شارل بيرّو هذه إلى صيَغها الأصليّة والابتعاد عن الصّيَغ المبتورة أو المحوَّرة، التي ترافقها في أغلب الخلاصات الموضوعة لها بالعربيّة أو في الترجمات المتداوَلة في هذه اللّغة لأفلام الرّسوم المتحرّكة المستوحاة من هذه الحكايات. وستأتي حاشية لإضاءة بعض العناوين عند الضّرورة.

أمَا بخصوص عنوان مجموعة الحكايات نفسه، فينبغي الإشارة إلى أنّ شارل بيرّو قد بدأ إسهاماته الرّائدة في حكايا الجنّ بكتابة حكايات منظومة، كما كان يفعل معاصره الشّاعر الشّهير لا فونتين La Fontaine (1661-1695) بحكاياته الخرافيّة الحِكَميّة المعروفة. هكذا نشر بيرّو ثلاث حكايات في أبيات، ثمّ انعطف إلى معالجة الحكايات نثراً. وقد أصدر في 1697، عن منشورات كلود باربان Claude Barbin ، كتاباً جمعَ فيه حكاياته التّسع الماثلة في هذا الكتاب، وهي كلّها مكتوبة نثراً، ما عدا الأخيرة منها، ولنا إليها عودة. منح بيرّو كتابه عنوان أقاصيص أو حكايات من الأزمنة الخَوالي، تصحبها عِبَرٌ Histoires ou Contes du temps passé. Avec des Moralités. على أنّ الغلاف ضمّ عنواناً ثانويّاً أو ثانياً هو حكايات أمّي الإوزّة Contes de ma mère l'Oye. والحال أنّ العديد من الطّبعات اللاّحقة أخذت بالعنوان الثاني، تفضيلاً له على الأوّل. ذلك أنّ العنوان الثاني ليس أكثر تعبيريّةً فحسب، بل هو بالأصل تسمية جماهيريّة كانت شائعة لجميع الحكايات من هذا النّوع، شأنها شأن التسمية الذّائعة الأخرى حكايات جِلد الحمار، التي استعارها بيرّو عنواناً لإحدى أشهر حكاياته. تحمل التّسمية حكايات جِلد الحمار دلالة سلبيّة أو قدْحيّة، تلمّح إلى أنّ حكايات كهذه هي تَخاريفُ لا يمكن تصديقها ولا تفيد في ما هو أبعد من التّسلية. خلافاً لذلك، تشير التّسمية الأخرى، حكايات أمّي الإوزّة، لا إلى الطبيعة العجائبيّة أو الخياليّة لهذه

الحكايات فحسب، بل تجمع أيضاً هذا الجنس الأدبيّ بالأجواء العائليّة الحميمة، وبحكايا الجدّات والأمّهات. ففي اعتقاد الكثير من المحلّلين والكتّاب، ترمز الإوزّة إلى المرأة المسنّة التي تخفّفت، بفضل سنّها نفسها، من الأعباء اليوميّة وراحت تغذّي أمام أبنائها وأحفادها مواهبها السّرديّة في الأماسي والأعياد. وقد تبنّى بيرّو هاتين التسميتين، وأنعشَهما بشحنة إيجابيّة عالية، معبِّراً من خلالهما عن كامل افتخاره بهذا الجنس الأدبيّ الذي عملَ هو وآخرون قلائل، من كتّاب وكاتبات، على رفعه إلى مستوى الأدب الكبير. وتيَمُّناً بإجراءاته هو نفسه، وبعنوانه الذي اعتادته أجيال عديدة، منحْنا هذه الحكايات في ترجمتها هذه عنوان حكايات أمّي الإوزّة، عِلماً بأنّ الطبعات الفرنسيّة الحاليّة تجمع حكاياته المنظومة والنثريّة تحت عنوان شامل ووجيز هو حكايات Contes .

وبخصوص حكاية جِلد الحِمار، ينبغي التنويه بأنّها من حكايات بيرّو المنظومة شعراً. وقد عرفَت انتشاراً كبيراً. وبموازاة صيغتها الشعريّة الأصليّة، شاعت الحكاية في صيغة نثريّة هي من الجودة والأمانة للغة بيرّو وصوَره وحيَله السرديّة بحيث ساد الاعتقاد بأنّه هو نفسه واضعها، وهي في حقيقة الأمر من وضع ناشر أو قارئ غفْل. وقد عبّر الروائيّ الفرنسيّ غوستاف فلوبير Gustave Flaubert، في رسالة إلى صديقته لويز كوليه Louise Colet حملت تأريخ 16 كانون الأوّل/ديسمبر 1852، عن كبيرِ إعجابه بمُجمَل حكايات بيرّو، وبهذه الحكاية في صيغتها هذه تحديداً، واستشهد بعباراتٍ منها، وكان يعتقد أنّ هذا الأخير هو من سطّرها بنفسه. ونظراً لخصوصيّات حكايات بيرّو المنظومة، التي تتّسم، لِعتَقِ لغتها النّسبيّ، بقدر من التعقيد لا بأس به، آثرنا هنا أن تُترجَم هذه الحكاية في صيغتها النثريّة، منبّهين في الأوان ذاته إلى أنّ نصّها كان قد وُضِعَ انطلاقاً من أبيات المؤلِّف، فهي تحمل أجواء نصّه الأصل ولغته وبلاغته، سوى أنّها تختلف عنه في ترتيب العبارات. وهذا كلّه يطرح في النّهاية سؤال حكايات بيرّو الشعريّة، التي تُنشَر تارةً في مجموعة مستقلّة، وطوراً إلى جانب حكاياته المكتوبة نثراً. فممّا لا شكّ فيه أنّ هذه الحكايات المنظومة ينبغي أن تُترجَم إلى العربيّة يوماً.

نشير أخيراً إلى أنّ البحث في المصادر التي استعار منها شارل بيرّو بذورَ حكاياته قد شهد في العقود الأخيرة تطوّرات كبيرة أفضت إلى نتائج شديدة الحسم. ويُجمِع الباحثون على أنّ بيرّو لم يكن لِينسخ مصادره، شفويّةً كانت أو مكتوبة، بل هو يصهر كلّ شيء ويعيد سبْكه على شاكلته ويُغنيه بما ليس فيه. هكذا بحيث ذهبت إحدى شارحات عمله، كاترين مانيان Catherine

Magnien ، إلى حدّ القول إنّ بيرّو لم يتأثّر بالفولكلور الحكائيّ بقدر ما أثّر هو فيه. وبالفعل، فإنّ العديد من الصّيَغ اللّغويّة والإجراءات السرديّة التي شاعت على أثره في كتابة حكايا الجنّيات كان هو المُبادِر إليها. فمثلاً، إنّ الصّيغة المتعارَف عليها بالفرنسيّة كمقابل للصّيغة العربيّة «كان يا ما كان»: Il était une fois (حرْفيّاً: «كان هناك ذاتَ مرّةٍ»)، يُجمع مؤرّخو الأدب على أنّه هو من ابتكرَها وأوّل من استخَدمها في 1694، ثمّ فرضت نفسها فاتحة للحكايات.

الشّيء ذاته عن تأويل حكاياته وعرض أبعادها الرمزيّة ومداليلها الثقافية والتربويّة. فقد حقّق البحث فيهما نتائج باهرة لم نشأ أن نثقل بها على النّاشئة من القرّاء، سواء في التقديم أو في حواشي هذه الترجمة. والحقّ، فإنّ العِبَر المنظومة التي اعتاد بيرّو أن يختم بها حكاياته تدلّ بنفسها القارئ على الاتّجاه الأساس الذي ينبغي أو يمكن أن ينتهجه في قراءته، وتظلّ اتّجاهات تأويل أخرى ممكنة بالطّبع دوماً. من موضوعات ومواقف ولوحات سائدة في ثقافة عصره، كالحسناء النؤوم أو الجنيّات المُحسِنات والأخرَيات النّاقمات، ينسج بيرّو حكايات تجمع أناقة السّرد وفتنة اللّغة إلى نفاذ الفكر. وفي التّحليل الأخير، ليست الخلاصات التي ينتهي إليها قارئ هذه الحكايات بالشديدة الابتعاد عمّا يجده في حكايات عجائبيّة يعرفها قرّاء العربيّة من قبل، حكايات كليلة ودمنة الخرافيّة مثلاً. فحكاية الحسناء النائمة في الغابة تعلّمنا محاسن الانتظار، وترينا أنّ في مقدورنا دوماً أنّ نحوّل العوائق إلى عوامل حفزٍ ومُساعَدة. وحكاية ذات القلنسوة الحمراء، تؤكّد على ضرورة الاحتراس من الذّئاب والماكرين بعامّة، وتُبرز أهميّة المسار التلقينيّ في حياة الفتاة، يذهب من الجدّة إلى البنت مروراً بالأمّ. وحكاية ذو اللّحية الزّرقاء تصوّر مَخاطر الفضول، وتُدين فظاظة بعض الأزواج، وفي الأوان ذاته تُنعش السّردَ وتُشوّق القارئَ بعناصر معهودة في قديم الحكايات، كالحُجرة المحرَّمة وقطرات الدّم غير القابلة للمحو. وحكاية القطّ العارف أو القطّ ذو الجزمتين تُطنب في الإطراء على الكائن الصّغير الذي يثبت ببراعته وتفانيه كونه أفضل حليف ممكن في الحياة. والحكاية الشّديدة الوجازة ساحِرات الجنّ ترينا أنّ من شأن عذوبة الكلام أن تحقّق من النّتائج ما لا تقدر عليه فعالٌ كثيرة. ولعلّ الحكاية الواسعة الانتشار ساندريلاّ أو الخُفّ البلّوريّ الصّغير تشكّل أفضل معالجة معروفة للفكرة التقليديّة التي مفادها أنّ الكياسة وروح اللّطافة يمكن أن تنقذا كائناً وتقوداه من العيش في كومة من الأرمدة إلى اعتلاء العرش. وبوجازة مماثلة، وبالاقتدار اللّماح ذاته، ترينا حكاية ريكيه ذو القُنزُعة أنّ رجلاً وامرأةً متحابّين يمكن أن يعذر أحدهما ما يكون لدى الآخر من قصورٍ أو نقصٍ، دمامة أحدهما مثلاً أو النّصيب المتواضع من العقل لدى الآخر، وأن يحوّله، بقوّة الحبّ

الإعجازيّة، إلى ضدّه. وحكاية أُصيبِع تأتي لتنتشل الأخ الصغير، أو المولود الأخير، من التّهميش والازدراء وتجعل منه، بقدراته الضئيلة وتفكيره العميق، مُنقِذاً لإخوته. وأخيراً، نقف في جِلد الحمار على الشّاكلة، البالغة الاصطبار والحافلة بالآلام، التي بها تُحبِط فتاةٌ مشروع أبيها الجنونيّ في الاقتران بها بعد رحيل والدتها. تنفي الفتاةُ نفسَها بعيداً في العالَم، وفي منفاها تفوز بعد سنواتٍ بحبِّ أميرٍ وتعتلي وإيّاه العرش، ثمّ تلتقي أباها من جديدٍ وقد تعزّى عن فقدانها واقترنَ بأرملة. لسنواتٍ كانت الفتاة تتلفّع بجِلد حمارٍ بائس، يرمز إلى كلّ عذابها وإلى الثّمن الذي كان عليها أن تدفعه مقابلَ وفائها للمبدأ القائل إنّ حصافة العقل هي السدّ المنيع الأوحد أمام الحبّ المجنون. ولأنّها دفعت ثمن تمسّكها بروح الواجب بلا تهرّب ولا كسل، فهي تتخلّى في نهاية المطاف عن ثوبها الفقير لتتّشح بألفِ ملاءةٍ من النّور[1].

**المحرّر**

# الحسناء النائمة في الغابة

كان يا ما كان، كان هناك ملكٌ وملكةٌ، وكانا في غاية الهمّ لأنّهما لم يُرزَقا أبناءً، لدرجةِ يَصعُب معَها وصفُ حزنِهما. وقد طافا بكلّ ينابيع العالم، ونذَرا النذورَ، وزارا في سبيل الإنجاب كلّ المزارات المقدسة، مؤدّين كلّ الفروض، بلا فائدة. وبعد لأيٍ، حملت الملكة ووضعت بنتاً، وأُقيم لتعميدها حفلٌ جميل. وجُعِلت كلُّ الجنّيات الموجودات في البِلاد عرَّاباتٍ[2] لها (وقد كان هناك سبعٌ منهنّ) بغرضِ أن تهبها كلّ واحدة من الجنّيات، عن طريقِ سِحرِها، كما كنّ يفعلن عادةً في ذلك الزّمان، موهبةً أو قدرةً خارقةً، فتجتمع لها بذلك كلّ الفضائل الممكنة.

وبعدَ طُقُوسِ العمادة، ذَهَبَ الجَمعُ إلى قصرِ الملك حيث كانت قد أُعِدّت للجنّيات وليمةٌ ضخمة. وُضِعَ أمامَ كلّ واحدةٍ منهنّ صحنٌ بديعٌ مع حافظة من الذّهبِ تحتوي على شوكةٍ وملعقةٍ وسكّينٍ من الذهبِ الخالصِ المطعّم بفصوصِ الماسِ والياقوت. وعندما اتّخذَ الجميع مواقعهم على المائدةِ شاهدوا جنّيةً عجوزاً تدخل من الباب، لم يكن أحدٌ قد دعاها للمناسبة إذ أنّها لم تخرج طيلة خمسين عاماً من أحد الحصون، وقد ظنّ الجميع أنّها ماتت أو أصابها عملٌ من أعمال السِّحر.

أعطى الملكُ هذه الجنّية صحناً، وتعَذّرَ إعطاؤها حافظةَ أدوات المائدة الذهبيّة كالأخريات لأنّه لم يُصنَع منها سوى سبعٍ بعدد الجنّيات. فظنّت الجنّيةُ العجوز أنّ ذلك كان من قبيل الازدراء بها، وغمغمت من بين أسنانها ببعض ألفاظ الوعيد. فسمِعتها واحدةٌ من الجنّيات الشابّات كانت جالسةً بالقرب منها، وقَدّرَت أنّها ستهب الأميرةَ الصّغيرةَ موهبةً مشؤومة. اختبأت الجنّية الشابّة خلف الستائر حتّى تكون آخِرَ من يتكلّم، فتُبطِل على قدر استطاعتها الشرَّ الذي قد تتمنّاه الجنّية العجوز للأميرة.

ثمّ بدأت الجنّيات في منح هباتهنّ للأميرة. فمنحتها أصغر الجنّيات عمراً موهبةَ أنْ تكونَ أجملَ شخصٍ على وجهِ الأرض، ومنحتها الجنّية التالية موهبةَ أن تكون لها روح ملائكيّة، والثالثة وهبتها فضيلةَ أن تتّصفَ كلّ أفعالها باللّطف، والرّابعة أنْ تتقنَ الرقصَ لدرجةِ الكمال، والخامسة أنْ يكونَ صوتُها في الغناء بعذوبةِ صوت العندليب، والسّادسة منحتْها موهبةَ التمكّنِ التامّ من العزفِ على جميع الآلات. ثمّ جاء دورُ الجنّية العجوز، فقالت وهي تهزّ رأسها من أثر الغيظ أكثر ممّا بفعلِ الشيخوخة إنّ الاميرةَ سوف تَخِزُ يدَها بمغزلٍ فتموت من ذلك.

أحدثت تلك الهبةُ المشئومة رجّةً عنيفةً لدى كلّ الموجودين، وشرعَ الجميعُ بالبكاء. وفي هذه اللحظة خَرَجَت الجنّية الشابّة من خلفِ الستائر وقالت بصوتٍ عالٍ:

- يا جلالةَ الملك والملكة، اطمئنّا. فلن تموتَ ابنتكما؛ أنا في الحقيقة لا أملك القوّةَ الكافيةَ لإبطال سحرِ العجوزِ بالكامل. سوف تخزُ الأميرةُ يدَها بالمغزل؛ ولكنّها بدلاً من أن تموت ستسقط فقطْ في سباتٍ عميقٍ يستمرّ مائة عامٍ، يجيء في ختامها نجلُ أحد الملوك ليوقظها منه.

في محاولة لتفادي سِحر الجنّية العجوز، أصدرَ الملكُ مرسوماً يحْظرُ فيه على كلّ شخصٍ في المَملكةِ استخدامَ المغازل أو حتّى اقتناءها، ومَن خالف ذلك عوقب بالإعدام.

وبعدَ نحو خمسةَ عشرَ عاماً أو ستّةَ عشرَ، ذهب الملكُ والملكة للاستجمام في أحد قصورهما. وحدث أن أخذت الأميرة الصّغيرة تتجوّل في أرجاء القصر داخلةً من غرفة لأخرى حتّى وصلت إلى مخزَنِ الغِلالِ[3] في أعلى أحد الأبراج ووجدت فيها عجوزاً طيبةً وحيدةً تغزلُ خيوطها. لم تكن هذه العجوز الطيّبة قد سمعت بالحظْرِ الذي فرضه الملكُ على استخدامِ المغازل. فسألتها الأميرة:



- ماذا تفعَلين هنا يا سيّدتي الطيبة؟

فردَّت العجوزُ دون أنْ تتعرّفَ على الأميرة:

- إنّني أغزلُ يا صغيرتي.

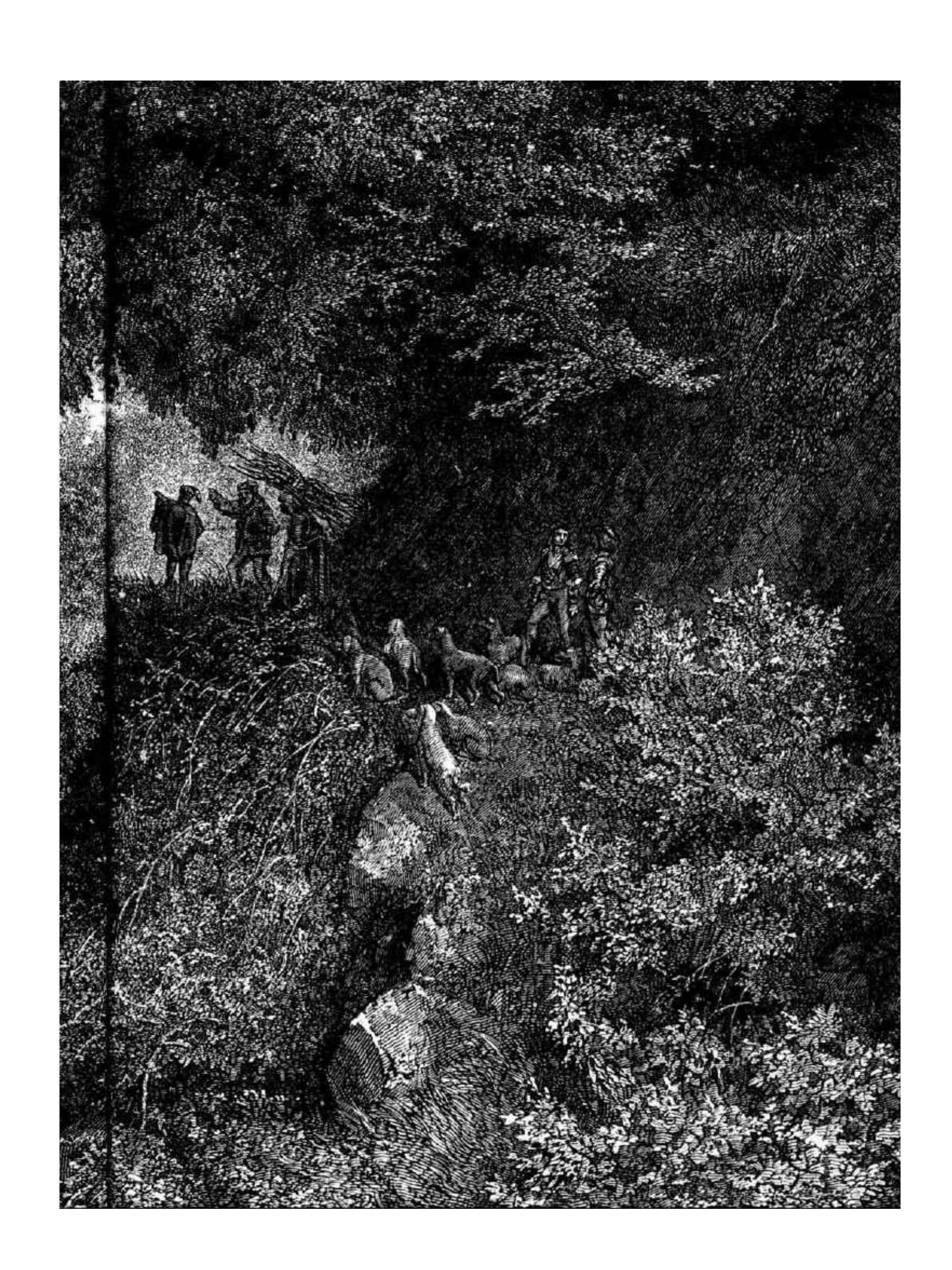
قالت الأميرة:

- ما أجملَ هذا! كيف تفعلينَه؟ أعطيني هذه الآلةَ لأرى إنْ كنتُ سأُحسنُ العمل بها مثلك.

ولمّا كانت الأميرة تتصرّف بحيويةٍ وبخفّةٍ وبعض الطيش، ووفقاً لقرارِ الجنّية العجوز التي كانت لدى ولادتها قد وهبتها هبةً مشؤومةً، فإنّها وخزتْ يدَها بسنّ المغزل وسَقَطَت مغشيّاً عليها.

شَعرت العجوز الطيّبة بحرجٍ شديد، وصرخت طالبةً النجدةَ، فهرعَ الناسُ من كلّ حدب وصوب، وحاولوا إنعاش الأميرة، بسكْب الماء على وجهها، بحلّ أربطةِ ملابسها، بلطمِ يديها، وتدليك صدغيها بماء العطر؛ ولكنّ شيئاً لم يفلح في إيقاظها.

تذكَّر الملكُ، الذي صعد إليهم على أثر الجلبةِ، نبوءةَ الجنّيات، وقدّرَ أنّ الأمرَ كان لا محالةَ واقعاً. فأمرَ بوضع الأميرةِ في أفخمِ جناحٍ في القصر، على فراشٍ مزخرفٍ بالذّهبِ والفضّة. كان من يراها يحسَبُها ملاكاً نائماً من فرطِ جمالها، إذ لم يُؤثّر سُباتها على نضَارةِ لون بشرتها، فبقيت وجنتاها مضرَّجتين، وشَفَتاها على



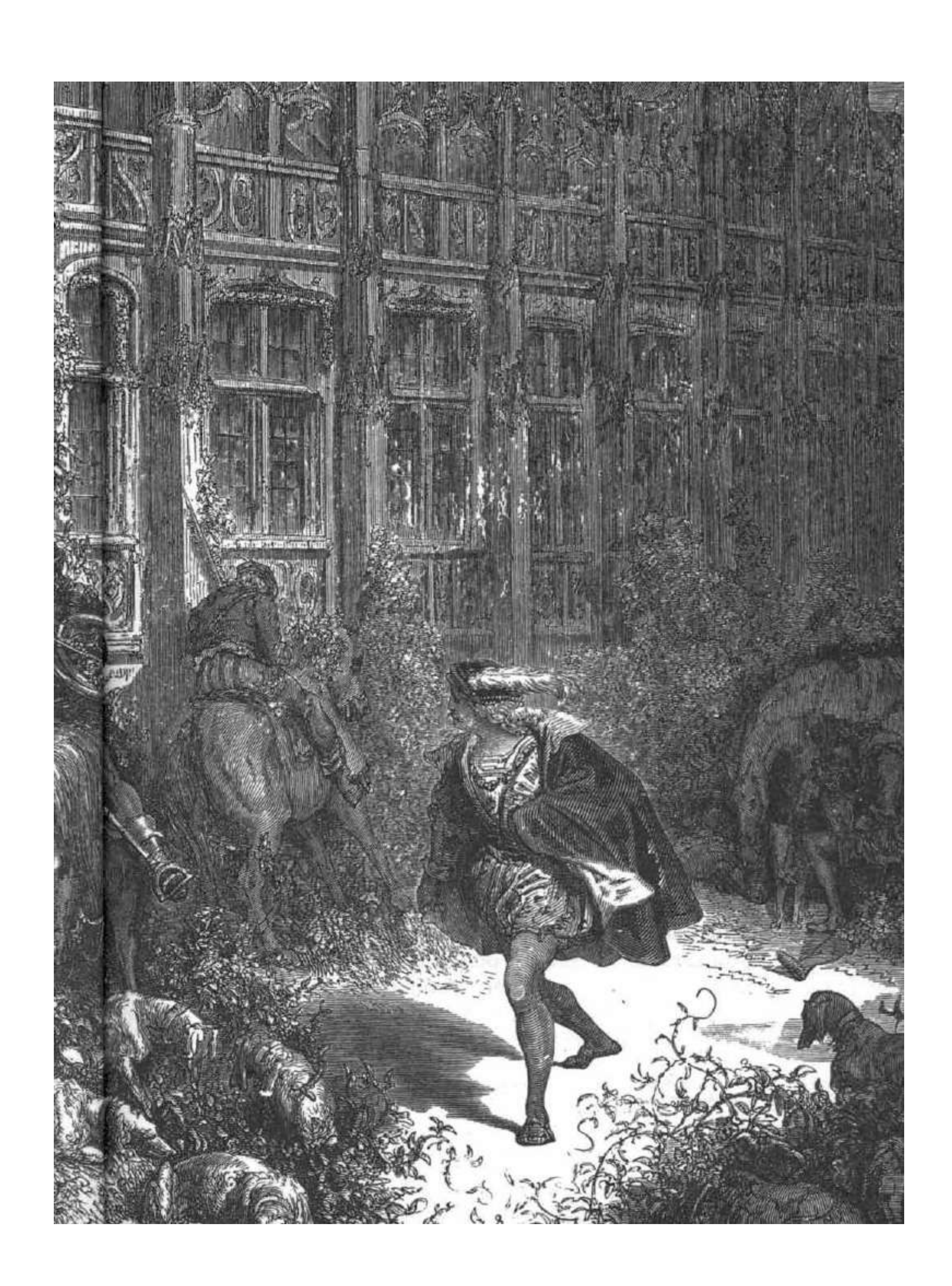


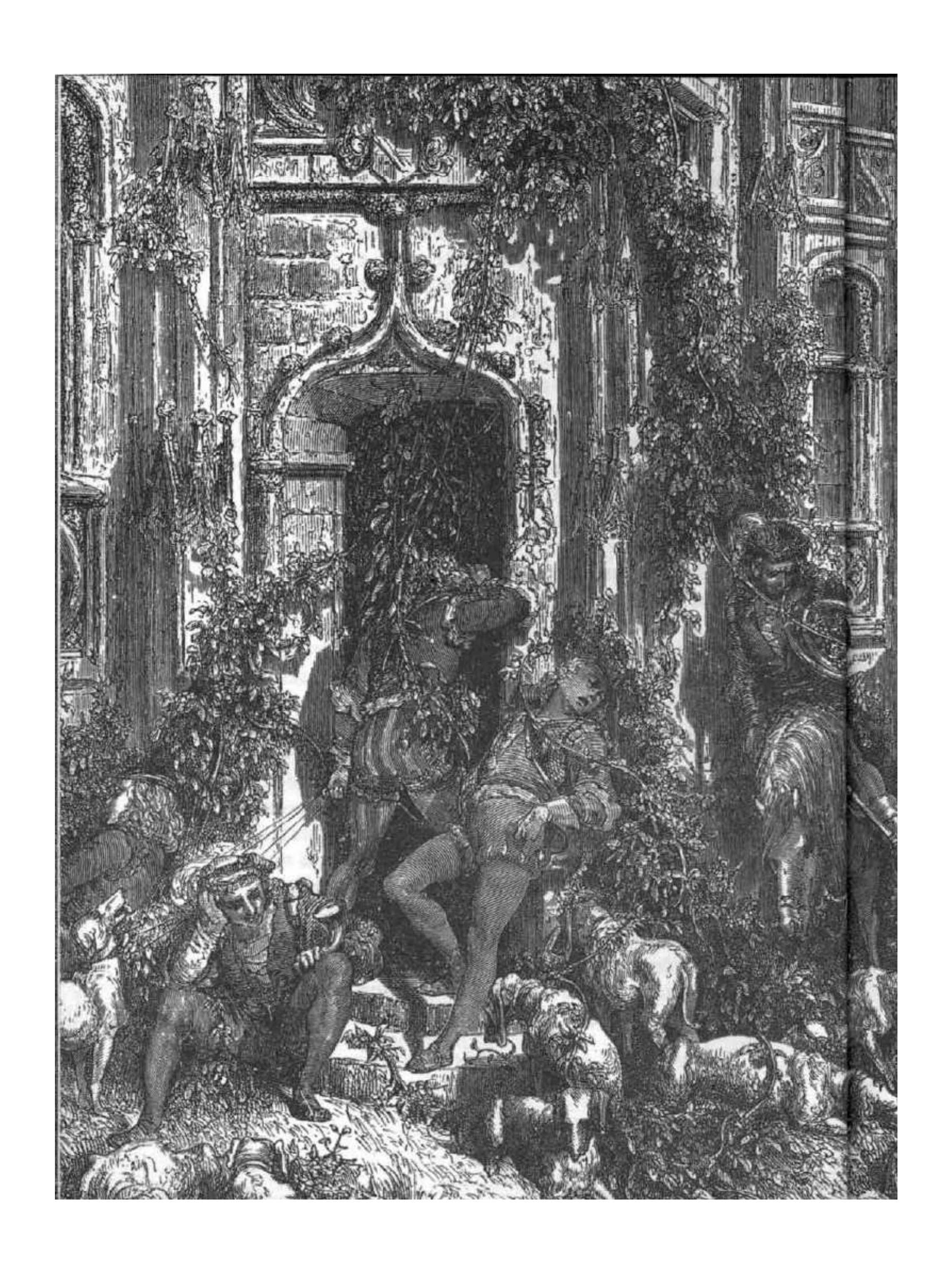
لونِهما بحُمرة المَرجان، كانت فقط مُغمضةَ العَينين، وبالإمكانِ سَمَاعُ صوتِ تَنفُّسِها الهادئ كدليلٍ على كونها على قيد الحياة. وأَمَرَ الملكُ أنْ تُترَك لتنامَ في سلامٍ حتّى يحينَ موعدُ استيقاظها.

كانت الجنّية الطيبة التي أنقذت حياة الأميرة بحُكمِها عليها بأن تنامَ مائة عامٍ موجودةً بمملكة «ماتاكان» على مبعدة اثنَي عشر ألف فرسخ عندما وقع الحادث للأميرة، لكنّها علمت بالأمر في وقته إذ أخبرها به قزمٌ صغيرٌ يملكُ جزمةً مسحورةً تُعرَفُ بِحذاءِ الفراسخ السّبعة (أي أنّ من ينتعله يجتازُ سبعة فراسخ في الوثبةِ الواحدة). وانطلقت الجنّية على الفور، ووصلت بعدَ ساعةٍ واحدة بعربة من النيران تجرُّها التنانين. وكان الملكُ في استقبالها لدى نزولها من العربة. وأيّدت هي كلّ ما فَعله مع ابنته، ولكنْ، ولأنّها متبصّرةٌ جدّاً، فقد قَدّرَت أنّ الأميرةَ ستشعرُ بالانزعاج إذا استيقظت لتجدَ نفسَها وحيدةً في هذا القصر العتيق. فلمستْ بعصاها السّحرية كلّ ما هو موجود في القصر بخلاف الملك والملكة: أي أفراد الحاشية والمُرَبّيات والوصيفات والخادمات والحَرس والنُدُل والطُّهاة ومساعديهم، والفرّاشين، وسائسي الخيل. ولمست أيضاً كلّ الخيول الموجودة بالحظائر، وكلابَ الحراسةِ القوية في الأفْنِية، وحتّى كلبة الأميرة الصّغيرة التي كانت بجانبها على الفراش. وما إن لمستهم حتّى غطّوا جميعاً في النومِ، بحيث تكون يقظتُهم مع الأميرة في اللحظة ذاتها ليكونوا في خدمتها. حتّى طيورُ الحَجَلِ والتُّدرُجِ التي كانت حولَ السّفافيد تنتظرُ الشيَّ، والنارُ نفسها التي في الموقد، هذا كلّه غطّ في سباتٍ عميق. ولقد حدث الأمر في لحظة واحدة؛ فالجنّيات في أعمالهنّ لا يحتملن الإبطاء.

ثمّ غَادرَ الملكُ والملكةُ القصرَ بعد أنْ قبَّلا ابنتهما النائمة. وأصدرا قراراً بحظرِ اقتراب أيّ شخصٍ من القصر. وما كان ذلك الحظر ضروريّاً، إذ نَمَت حولَ القصرِ، وفي أقلّ من ربعِ ساعة، أعدادٌ هائلةٌ من الأشجارِ والنباتاتِ والأشواك المتشابكة، لا يستطيع لا البشرُ ولا الحيوانُ اختراقَها، وبحيث لا يُرى من القصر سوى ذُرى أبراجه العالية، ومن مسافة نائية. ولا شكّ أنّ الجنّية قد فعلت ذلك بسِحرها لتقي الأميرة أثناء نومها شرَّ المتطفّلين.

وبعدَ مائةِ عامٍ من تلك الأحداث، خَرَجَ الأميرُ نجلُ الملكِ الحاكمِ يومذاك للصّيدِ في تلك المنطقة، وكان من أسْرةٍ أخرى غير أسْرة الأميرة النائمة. سأل من كانوا في معيّته عن تلك الأبراج التي كان يراها أعلى غابة واسعة وكثيفة. فأجابه كلٌّ بحسب ما كان سَمِعَه من أقاويل؛ فقال قائلٌ منهم إنّه قصر قديم تسكنه الأشباح، وقال آخر إنّ جميع ساحرات البلد يعقدن فيه





اجتماعاتهنّ الشرّيرة، ولكنّ الرأي السائد كان أنّ غولاً يتّخذ من القصر مبيتاً له، وأنّه يأخذ إليه ضحاياه من الأطفال الصغار كي يلتهمهم بعيداً عن أعين الرقباء، وهو الوحيد الذي يستطيع أن ينفذ إليه عبرَ الأدغال الكثيفة التي كانت تلتفّ حوله.

لم يعرف الأميرُ أيّ قولٍ يصدّق، حتّى تَكلّم أحد الفلاّحين قائلاً:

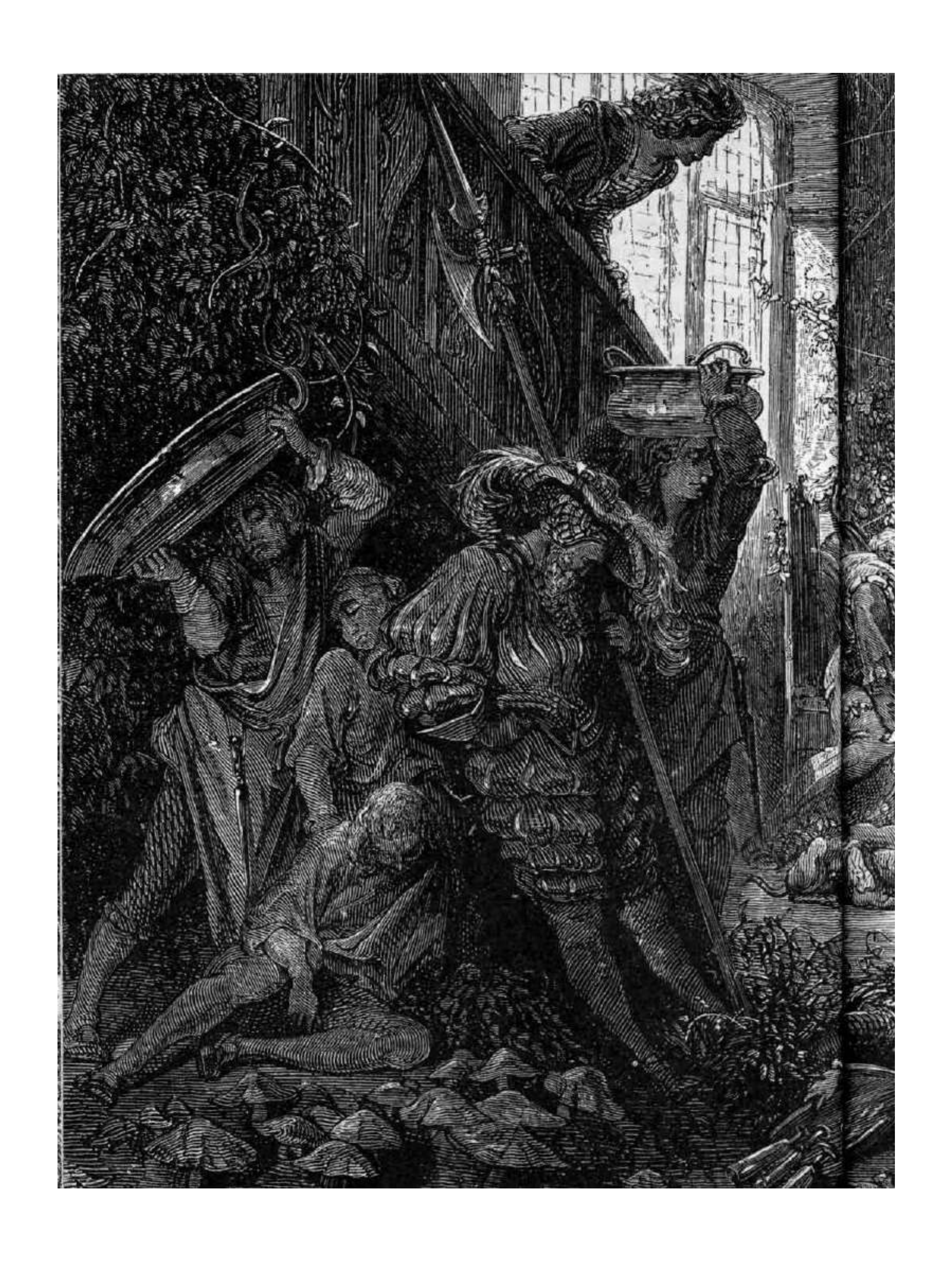
- مولاي الأمير، سمعتُ أحدَهم يقول لأبي قبلَ أكثر من خمسين عاماً إنّه توجد داخلَ هذا القصرِ أميرةٌ فاتنة الجَمال، وإنّها محكومٌ عليها بأن تنامَ مائة عامٍ فلا يوقظها إلاّ ابن ملكٍ ستكون هي من نصيبه.

شعرَ الأميرُ الشابُّ بدفقةٍ من الحماس لدى سماعه هذا الكلام، وفكّرَ بلا تردّدٍ أنّه سيضع نهايةً لمغامرةٍ جميلة، وعَقَدَ العزمَ، مدفوعاً بالرَغبةِ في الحُبّ والمجد، على الذّهاب لمعاينةِ المكانَ ليرى ما فيه. وما إنْ همّ بالاقترابِ من الغابة حتّى انفرجت أمامَه الأشواك والنباتات والأشجار بأغصانِها المُتشابكة مفسحةً له الطريقَ للدّخول. فسار نحو القصر الذي رآه في نهاية ممشىً طويل. وما أدهشه هو أنّ أحداً من أتباعه لم يلحق به، إذ انغلق الدّغل في وجوهِهم مرّةً أُخرى مانعاً إيّاهم من العبور. أمّا هو فلم يتوقف عن المُضيّ في طريقه، فأميرٌ شابٌّ وعاشقٌ لن تنقصه الشجاعة. دخل إلى السّاحةِ الأماميّةِ للقصر، فكان كلّ ما رآه في البدء قادراً على تجميدهِ من الرُّعب. كان الصمتُ مخيفاً، وصورة الموتِ حاضرة في كلّ مكان، ولم يكن هناك غير أجساد ممدَّدة لأناس وحيوانات تبدو ميّتة. لكنّه أدرَكَ من وجوهِ الحُجّابِ ومن حُمرةِ أنوفِهم أنّهم نيامٌ فقط؛ ثمّ إنّ كؤوسَهم التي لا تزال تحمل آثار الشّراب كانت تدلُّ على أنّهم قد غطّوا في النّوم وهُم يتَسامرون.

اجتازَ بهواً فسيحاً مبلّطاً بالرخام، ثمّ صَعَدَ الدرَجَ، ودخل إلى قاعةِ الحرسِ فوجدهم مصطفّين في صفوفٍ بأسلحتهم على أكتافهم مصدرين غطيطاً مضطرداً. مرّ بغُرَفٍ عديدةٍ ملأى برجالٍ وسيّدات نيام أيضاً، بعضهم واقفٌ والبعض الآخر جالس. ثمّ دخل إلى حجرةٍ تسطع ببريقِ الذهب، فرأى على الفراش الذي كُشِفَت عنه الستائرُ من كلّ اتّجاهٍ أجملَ منظرٍ وقعت عليه عيناه طيلةَ حياته: أميرة تبدو في نحو الخامسة عشرة أو السّادسة عشرة، لجمالها بهاءٌ نورانيّ وسماويّ. اقتربَ مرتعداً من الإعجاب، وجَثا على ركبتيه بالقربِ منها.

وحان موعد انتهاء مفعول السِّحر، فأفاقت الأميرة، ونظرت إليه بعينين ملؤهما الحنان كما لو لم تكن النظرة الأولى التي تبادله إيّاها، وقالت له:





ـ هذا أنتَ يا أميري؟ لقد جعلتَني أنتظرك طويلاً.

فُتِنَ الأميرُ بكلماتِ الأميرةِ، وبالطريقةِ التي قالتها بها، فلم يعرفْ كيف يعبّرُ لها عن فَرَحِه وامتنانه؛ وأكّد لها أنّه سيحبُّها أكثرَ من نفسه. وجاء كلامه مضطرباً فسرّها لذلك أكثر.

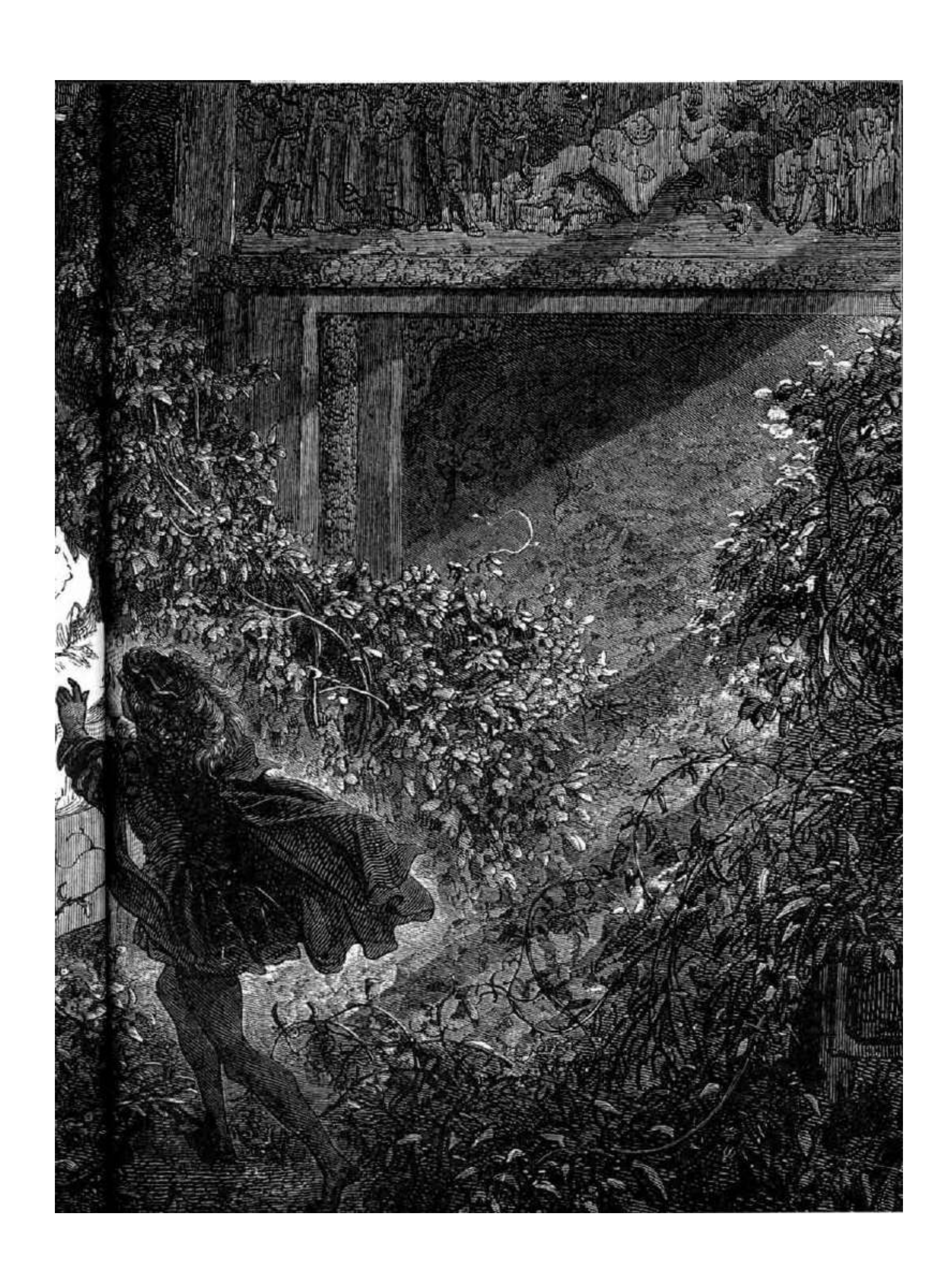
كان الحبّ يغلب فيه على الفصاحة. كان أكثر ارتباكاً منها، ولا ينبغي لنا أنْ نندهش لذلك، فالأميرةُ كان لديها متّسعٌ من الوقت لتتخيّلَ ما ستقول له أثناء أحلامها الجميلة التي ألهمتها إيّاها جنيّتها الطيّبة خلال نومها الطويل. فقضى الاثنان أربع ساعاتٍ في الحديث وما أتيا على نِصفِ الأشياءِ التي كانا يرغبان في قولها.

كان كلّ فردٍ في القصر قد استيقظ في اللحظةِ نفسِها مع الأميرة، وشرعَ بالتفكير عميقاً بما كان منوطاً به من الخدمةِ؛ ولأنّهم ما كانوا جميعاً من العاشقين، فقد أحسّوا بجوع شديد. إلاّ أنّ وصيفة الشّرف، وقد عيلَ صبرُها بسبب الجوع هي أيضاً، هتفت على مسمع الأميرةِ أنّ الطّعامَ جاهزٌ للتقديم. فساعدَ الأميرُ الأميرةَ على النهوض، وقد كانت في كامل زيّها وأوْجِ بهائها، لكنه تَحفّظَ من أنْ يخبرَها بأنّ ملابسها تعودُ لطرازٍ قديمٍ يناسب جدّته، فذلك لم ينتقص من جمالها شيئاً.

وذهبا لتناولِ العشاءِ في قاعةٍ ذات مرايا، وأشرف على خدمتهما حرسُ الأميرة، فيما عزَفَت المزامير والكمنجات مقطوعات موسيقيّة قديمة، كانت لا تزال رائعةً وإن لم تُسمَع منذ نحو مائة عام. وبعد العشاء، عقد الكاهن الأكبر قرانَهما في الكنيسةِ الصّغيرةِ المُلحقةِ بالقصر. وأسدَلت وصيفة الشرف عليهما الستائرَ، فناما قليلاً، إذ لم يكن للأميرة حاجة إلى النّوم، وفي الصّباح الباكر غادرها الأميرُ ليعودَ إلى المدينةِ خشيةَ أنْ يكون والده قلقاً بشأنه.

قال الأمير لأبيه الملك إنّه ضلّ الطريقَ في الغابةِ أثناء الصّيد، وإنّه أمضى اللّيلَ في كوخِ رجلٍ يعمل فحّاماً أطعمه خبزاً أسود وبعضَ الجُبن. فصدّق الملك الذي كان رجلاً طيّب القلبِ كلامَه، لكنّ أمّه الملكة لم تقتنع بهِ تماماً. وعندما لاحظت أنّه يذهبُ إلى الصيدِ كلّ يوم تقريباً، وأنّه يملك دائماً حجّةً جاهزةً لتغيّبه، وأنّه قد يقضي ليلتين أو ثلاثاً خارج البيت، أيقنت أنّ في الأمرِ عشقاً ما. ذلك أنّ الأميرَ عاشرَ الأميرةَ لأكثرَ من عامين كاملين، رُزقا خلالهما بطفلين: بنتٍ أسمياها «سحَر»، وولدٍ أطلقا عليه اسم «صباح» لأنّه كان أجملَ من شقيقته.

كانت الملكة تحاول في مناسبات عديدة أن تجعل ابنها يفسّر لها غيابه، قائلةً له إنّه ينبغي الاستمتاع في الحياة؛ لكنّه لم يجرؤ أبداً على البوح لها بسرّه، إذ كان يخشاها، رغم حبّه الشديد لها، لأنّها





كانت من سلالة الغِيلان[4]، والملك والده لم يتزوّجها إلاّ لثروتِها الكبيرة. وكان الناس في القصرِ يتهامسون سرّاً أنّ لها ميولَ غولٍ، وأنّها إذ ترى أطفالاً يمرُّون أمامها، فإنّها تعاني مشقّة في منع نفسها من الفتكِ بهم؛ ولذا لم يرغبْ الأميرُ قطّ في الإفصاح لها بأيّ شيء.

ثمّ، بعد عامين، ماتَ الملكُ الأبُ، وألفى الأميرُ نفسَه وقد صارَ سيّدَ البلاد، فأعلن زواجَه على الملأ، وذَهَبَ ليجلبَ زوجتَه، وقد صارت ملكةً، من قصرِها، وعاد بها إلى المدينةِ تتوسّط طفليها في موكب مهيب.

وبعدَ فترةٍ وجيزةٍ، خرج الملكُ للحرب في مواجهة الامبراطور «كانتالابوت» حاكم المَملكة المجاورة، وتَرَك حُكم البلاد في يد الملكةِ الأمّ، وأوصاها خيراً بالملكةِ زوجته وأطفاله، إذ إنّه كان سيُمضي الصيفَ كلّه في حومة القتال. وبمجرّد رحيلِه أرسلت الملكةُ الأمّ كنّتها وحفيديها إلى قصرٍ ريفيّ في قلبِ الغابات كي تستطيعَ الاختلاءَ لإشباعِ رغباتِها المخيفة. ثمّ لحِقَت بِهم بعدَ أيّام، وقالت لرئيسِ المائدةِ في القصر:

- أريد غداً أن آكلَ في العشاءِ الصّغيرةَ «سحَر».

فردّ رئيس المائدة:

- لكنْ يا سيّدتي...

فقالت له الملكةُ بنبرةِ غولٍ متعطشةٍ للّحمِ الحيّ:

- أُريدُها! وينبغي أن تكون مطهوّةً بالمَرَق ذي التّوابلِ المتعدّدةِ الذي لطالما كنتَ بارعاً في تحضيرِه.

أدرك رئيس المائدة أنْ لا فائدةَ من التحايل على غولٍ، فاستلّ سِكيّناً كبيرةً وصَعَد إلى غرفةِ الصّغيرةِ «سحَر»، وكان لها من العمر يومذاك أربع سنوات. ارتمت الطفلة عليه لتعانقه فرِحةً لرؤياه، وأخذت تطلبُ منه الحلوى، فأمعنَ الرجلُ في البكاء، وسقطَت السكّين من يده. ثمّ هَبَطَ إلى فناءِ الدّواجن وذبحَ حَمَلاً صغيراً، وطبخ لحمَه مع المرقِ اللّذيذ، فأكّدت له سيّدتُه أنّها لم تأكل يوماً ما هو ألذّ منه.

وفي الوقت نفسه، كان قد أَخَذَ الصّغيرةَ «سحَر» وطلبَ من زوجته أن تخبّئها في مسكنهما المُتاخِمِ لِفناء الدّواجن.

وبعد ثمانيةِ أيام، قالت الملكةُ الشرّيرة لرئيس المائدة:

- أريدُ أنْ آكلَ في العشاءِ الصّغيرَ «صباح».

لم يردَّ الرجل وقرَرَ أن يخدعَها كالمرّة الأولى. فذهب للبحثِ عن الصّغير «صباح» حتّى وجده يلعب مع قردٍ كبيرٍ لعبةَ المبارزة، وقد كان له من العمر ثلاث سنوات، فأخَذَه إلى زوجته لتخبّئه مع شقيقتِه «سحَر»، وذبحَ بدلاً منه جَدْياً صغيراً وجدته الملكةُ الغولُ لذيذاً للغاية.

وسارت الأمور على ما يرام حتّى قالت الملكةُ الشريرةُ لرئيس المائدة ذاتَ ليلة:

- أريد أن آكل الملكةَ مطهوّةً بالمرق نفسِه الذي أعددتَ به طفليها.

وهنا انتاب رئيس المائدة اليأسُ من إمكانِ خداعِ الغولِ مرّةً أخرى. كانت الملكة الشابّة قد تجاوزت العشرين من عمرها، دون أن نعدّ المائة عامٍ التي نامتْها: ولحمها ولا بدَّ صلبٌ بالرّغم من بياضِ بشرتها ونضارتها. وهل سيجد بين البهائم في حظائر القصر حيواناً يكون له هذا اللّحم الصّلب؟ فقرّر أن ينجوَ بحياتِه هو، وأن يذبحَ الملكةَ الشابّةَ دون تردّد. فدخل إلى غرفتها حاملاً سكّينَه وقد اعتزم ألاّ يفاجئها، وأخبرها، بكلّ احترامٍ، بالأوامر التي تلقّاها من الملكة الأمّ. فقالت له الملكة الشابة وقد مدَّت له عنقَها ليذبحَها:

- افعل ما أُمِرتَ به، ونَفّذْ رغبةَ الملكةِ الأمّ، أمّا أنا فسألحقُ بولديَّ البائسين الذيَّن أحببتهما كثيراً.

كانت تعتقد أنّ الطفلين قد ماتا، لأنّهما أختفيا دون أن تعلم عنهما شيئاً. فقال لها رئيس المائدة:

- لا يا سيّدتي، لن تموتي، ولن تلحَقي بِهِما إلاّ في غرفتي حيث خبّأتُهما، وسأخدعُ الملكةَ الأمَّ مرةً أخرى، وأذبح لها ظبيةً فتيّةً بدلاً منك.

وأخذ رئيس المائدة الملكةَ الشابّةَ بدورِها إلى غرفتِه، وتركها تحتضن ابنيها وتبكي من فرحِ لقائهما، وذَهَبَ ليجهّزَ الظبية، وقد أتت عليها الملكة الأمّ بشراهةٍ كما لو كانت تلتهمُ كنّتها الشابّةَ بالفعل. كانت سعيدةً بقسوتِها، وتهيّأت لتقول لنجلها الملك إنّ زوجته وولديه قد التهمتهما الذئاب الشرسة.

وذات ليلةٍ، خرجت الملكة الأمّ لتتجوّلَ في أرجاءِ القصرِ وأفنِيَته كعادتها بحثاً عن اللحمِ الشّهيّ، فسمعت بكاءَ الصّغيرِ «صباح» آتياً من إحدى الغرف، وكانت الملكة الشابّة تحاول معاقبته لأنّه أساءَ التصرّف فيما كانت شقيقته «سحَر» تسألها العفوَ عنه. فعرفت الغول أصواتَ الطفلين وأمّهما. واستشاطت غضباً لأنّها تعرّضت للخداع. وصرخت بصوت مروِّع ارتعَدَ له كلّ منْ في المكان، آمرةً أن يأتوها في الصباح التالي بحوضٍ كبيرٍ مليء بالضفادع والحيّات والأفاعي والثعابين ليوضع في وسط الفناء ويُلقى فيه كلٌّ من الملكة الشابّة وولديها ورئيس المائدة وزوجته وخادمتهما. وأمرت بأن يؤتى بهم جميعاً وأيديهم مشدودة خلفَ ظهورهم.

وجاءت اللحظة، ومَثُلَ المتّهمون أمام الجلاّدين المتأهّبين لإلقائهم في الحوض، وعلى غيرِ انتظارٍ دخل الملك إلى الفناء فجأةً على صهوةِ جواده. جاء قبلَ موعد رجوعه، وتساءَلَ مندهشاً عن سرّ ذلك المشهد الرهيب، فلم يجرؤ أحدٌ على الإجابة. وجُنَّ جُنون الملكةِ الغولِ ممّا جرى، فألقتْ بنفسها في الحوض المريع لتلتهمها، في لحظةٍ، الأفاعي التي كانت هيَ قد أمرتْ بجلبها. ومع كلّ ما حدثَ حزنَ الملكُ عليها، فقد كانت في النهاية أمَّه، لكنّه سرعانَ ما وجَدَ عزاءَه في زوجتِه الجميلة وطفلَيه.

**العِبرة**

إنّه لَمِنَ الطّبيعيّ

أنْ تنتظرَ الفتاةُ زمناً

حتّى يأتيَها زوجٌ غنيٌّ وأنيقٌ ورقيقٌ ووَسيم

لكنّها لن تنتظرَ مائةَ عامٍ وفي سباتٍ عميق

إذْ لم يعدْ من امرأةٍ قادرةٍ على النّومِ بِمثْلِ هذه السّكينة.

تريدُ الحكايةُ أنْ تخبرَنا أيضاً

أنّ العقباتِ التي قد تُرجئ القِران

لا تجعله أقلَّ سعادة

وأنّ الانتظارَ لا يَضير

لكنّ النساءَ يتحرقنّ شوقاً

لهناءةِ الحياةِ الزّوجيّة

ولذا فأنا لا أمتلكُ لا الشّجاعةَ ولا القسوة

لأقدّمَ لهّن مثلَ هذه العِظة.



## ذاتُ القَلَنْسُوةِ[5] الحَمراء

كان يا ما كان، كان هناكَ فتاةٌ قرويّةٌ صغيرةٌ في غاية الحُسن، وكانت أمّها شديدة التعلّق بها، أمّا جدتها فكانت أكثرَ تعلّقاً بها من أمّها. ولقد خاطت لها الجدّةُ قلنسوةً حمراءَ جاءت ملائمةً لها كأفضلِ ما يكون، فلقبَّها الجميعُ «ذاتَ القلنسوةِ الحمراء».

وذات يومٍ أعدّت أمُّها بعضَ الفطائرِ، وقالت لها:

- اذهبي للاطمئنان على جدّتك، فقد سَمِعتُ أنَها مريضةٌ؛ وخذي لها معك فطيرةً من الفطائرِ وإناءَ الزُّبدِ الصّغيرَ هذا.

وانطلقت ذات القلنسوة الحمراء في الحال لِعيادة الجدة التي كانت تقطن في قريةٍ أخرى. وبينما هي تقطعُ الغابةَ صادفت في طريقها الذئبَ المكّار الذي كانَ يرغبُ بشدّةٍ في التهامها، لكنّه لم يجرؤ على ذلك بسبب وجود بعض الحطّابين في الغابة، فسألها إلى أين هي ذاهبة. كانت الصّغيرة المسكينة لا تعرف خطورةَ التحدّثِ إلى الذئاب، فقالت له:

- إنّي ذاهبةٌ لعيادةِ جدّتي، وسأُعطيها فطيرةً وإناءً صغيراً من الزُّبدِ أرسلتهما لها أمّي.

قال لها الذئب:

- هل تقطنُ جدتُك بعيداً عن هنا؟

ردّت الصّغيرة:

- نعم، خلفَ تلك الطاحونة التي تَراها هُناك، في أوّلِ بيتٍ بالقرية.

قال الذئبُ:

- حسناً، أنا أيضاً أرغب في زيارتها، لكنّي سأذهبُ من هذه الطريقِ وأنت تذهبين من تلك الطريقِ الأخرى، ولنرَ أيّنا سيصلُ الأوّل.

وسلك الذئبُ الطريقَ الأقصرَ، وقطعَها جرياً بِكلِّ ما أوتيَ من قوّةٍ؛ بينما سلكت الصّغيرةُ الطريقَ الأطول، وأخذت تلهو أثناءَ سيرِها بجمعِ حبّاتِ البُندُق، ومطاردةِ الفراشات، وبصنعِ باقاتٍ من الزهور؛ فوصلَ الذئب قبلها لبيت الجدّة وطرقَ الباب. فسألت الجدّةُ من الداخل:

- مَنْ بِالباب؟

فأجابَ الذئب مُبدِلاً صوته:

- أنا حَفِيدتُك ذات القلنسوة الحمراء، وقد جئتُكِ بفطيرةٍ



وإناءٍ صغيرٍ من الزُّبدِ أرسلتهما أمّي.

كانت العجوزُ بالفِعلِ متوعّكةً، فصاحت من مَرقدِها على الفراش:

- اسحبي المِزلاج وسينفتح الباب.

سَحَبَ الذئبُ المِزلاج وفتحَ البابَ، وهَجَمَ على الجدّةِ الطيّبةِ فالتهمها في لحظةٍ، لأنّه لم يكن قد أكَلَ شيئاً منذ ثلاثةِ أيّام. ثمّ أغلقَ البابَ، ورقدَ في فراشِ الجدّةِ في انتظارِ ذات القلنسوةِ الحمراء التي وصلت بعدَ قليلٍ، وطرقت البابَ؛ فسألها الذئبُ من الدّاخل:

- مَن بالباب؟

خافت ذات القلنسوةِ الحمراء عندما سمعت صوتَ الذئب، ولكنّها اعتقدت إنّه صوتُ جدتها وقد أصيبت بالزكام، فَرَدّت:

- أنا حفيدتُكِ ذات القلنسوةِ الحمراء، وقد أحضرتُ لك فطيرةً وإناءاً صغيراً من الزُّبدِ أرسلتهما أمي.

فردَّ الذئبُ وقد تعمّد تهذيبَ صوتِهِ قليلاً:

- اسحبي المزلاج وسينفتح الباب.

فسَحَبَت ذاتُ القلنسوةِ الحَمراء المِزلاجَ وانفتح الباب.

عندما رآها الذئبُ داخلةً، اختبأ تحتَ الأغطيةِ في الفِراش، وقال لها:

- ضَعي الفَطيرةَ وإناءَ الزُّبدِ فوقَ الصندوقِ، وتعالي لترقدي بجانبي.

خَلَعَت ذاتُ القلنسوةِ الحَمراء ملابِسَها، ورَقَدَت في الفراشِ، فاندهشت من جسدِ جدّتها العاري، وقالت:

- جدّتي، ما أَكَبرَ ذِراعيك!

فردّ الذئب:

- كي أحتضنَكِ جيّداً يا بنيّتي.

وقالت الصّغيرة:

- وما أكبرَ ساقيكِ يا جدّتي!

فردّ الذئب:

- كي أجريَ سريعاً يا بنيّتي.

وقالت الصّغيرة:

- وما أكبر أُذنيكِ يا جدّتي!

فردّ الذئب:

- كي أسمعَ جيّداً يا بنيّتي.

وقالت الصّغيرة:

- وما أكبر عينيك يا جدّتي!

فردّ الذئب:

- كي أرى جيّداً يا بنيّتي.

وقالت الصّغيرة:

- وما أكبر أسنانكِ يا جدّتي!

فردّ الذئب:

- كي آكلكِ يا بنيّتي.

وعند قوله هذه الكلمات، هجمَ الذئب الشرّير على ذاتِ القلنسوةِ الحمراءِ والتهمَها.

**العبرة**

تُخبرُنا الحكايةُ أنّ بعضَ الصّغار

- لا سيّما الفتيات المهذّبات الجميلات -

قد يُسيئون التّصرّف

بالإنصاتِ إلى كلِّ منْ هبَّ ودبّ،

فلا ينبغي أنْ نندهش

إنْ راحَ كثيرٌ منهم ضحايا للذّئب.

أقولُ الذّئبُ على العموم،

بيدَ أنَّ الذئابَ تتباينُ أصنافها

فمنها ما يبدو لطيفاً

وبلا عُواءٍ ولا ضجيج

وبمعسولِ الكلامِ وحُلوِه

يتسلّلُ في أثرِ الحسناوات

حتّى أعماقِ الأزقّةِ وخلفَ جُدرانِ البيوت

فيا لَخُسرانِ مَن لا تعرف

أنّ تلك الذئاب المتظاهرة بالرقّة

هي الأخطرُ بينَ جميعِ بني جِنسِها![6]

# ذو اللّحيةِ الزّرقاء

كان يا ما كانَ، كان هناكَ رجلٌ يملك بيوتاً جميلةً في المدينةِ والريف، أدواتُ المائدةِ فيها من الذّهب والفضّة، وأثاثها مزخرَف، وعرباته فيها مزيّنة بالنّضار؛ ولكنْ، وللأسفِ الشّديد، كان لذلك الرّجل لحية زرقاء، ممّا يجعله يبدو قبيحاً وكريهاً، ويجعل النّساء والفتيات يهربن من أمامه فزِعات.

وكان له جارةٌ من أفاضل الناس، لها ابنتان في غايةِ الحُسن. فطلب الرّجلُ يدَ إحدَيهما للزواج، وترك للأمّ حريّة اختيار أيّهما تزوّجه. ولم تقبل أيّ من الفتاتين الزّواجَ منه، وأخذت الواحدةُ تردّه للأخرى دون أن تتوصّلا إلى قرارٍ بشأنِ الزّواج من رجلٍ له لحية زرقاء. وما كان ينفّرهما أيضاً منه هو أنّه كان قد تزوّج قبل ذلك نساءً عديدات دون أن يعرفَ أحدٌ مصيرهنّ.

ولكي يوثّق أواصرَ الصّحبة، اصطحب ذو اللّحية الزّرقاء الفتاتين وأمّهما وثلاثاً أو أربعاً من أقرب صديقاتهنّ، وكذلك بعض الشبّان من الجيران إلى أحد بيوته الريفيّة، حيث مكثوا ثمانية أيّام بكاملها، قضّوها في النزهات ورحلات القنص وصيد الأسماك، وفي رقصٍ ومرحٍ وولائمَ وسهرٍ متواصل. وأخذت الفتيات يقضين الليالي في تدبير المَقالب البريئة واللّهو؛ وسارت كلّ الأمورِ على ما يرام، حتّى أنّ البنتَ الكبيرةَ بدأت ترى أنّ لحيةَ المُضيفِ الزّرقاء ليست بهذه الفظاعة، وإنّه فضلاً عن ذلك رجلٌ نزيه. وما إنْ عادَ الجميع إلى المدينةِ حتّى تمّ زفافُها إليه.

وبعد شهرٍ من الزواج، قال ذو اللّحية الزّرقاء لزوجته إنّه مُضطرّ لمغادرة المدينة لشأن هامّ في رحلةٍ سيغيب فيها ستّة أسابيع على الأقلّ؛ وأوصاها بأن تستمتعَ بوقتِها في غيابه، فتدعو صديقاتها المُقرَّبات إلى البيت، أو تصطحبهنّ في رحلة إلى الرّيف إذا ما طاب لها ذلك، وأن تُولم لهنّ دوماً؛ وقال لها:

- هي ذي مفاتيح صناديقي التي تحتوي على أطقُم المائدة الذهبيّة والفضيّة والتي لا تُستعمل كلّ يوم، وهي ذي مفاتيح خزائني التي تحتوي على مصوغاتي الذهبيّة والفضيّة وجواهري. وهي ذي مفاتيح كلّ أجنحة البيت وحُجُراته. أمّا هذا المفتاح الصّغير فهو للغرفة الواقعة في نهاية رواق الجناح السفليّ من البيت: لكِ أن تفتحي كلّ الغرفِ، وأن تدخليها جميعاً إلاّ هذه الغرفة، فأنا أحظرُ عليك الاقترابَ منها حظراً شديداً، وإذا ما فتحتِها استحققتِ شديدَ غضبي.

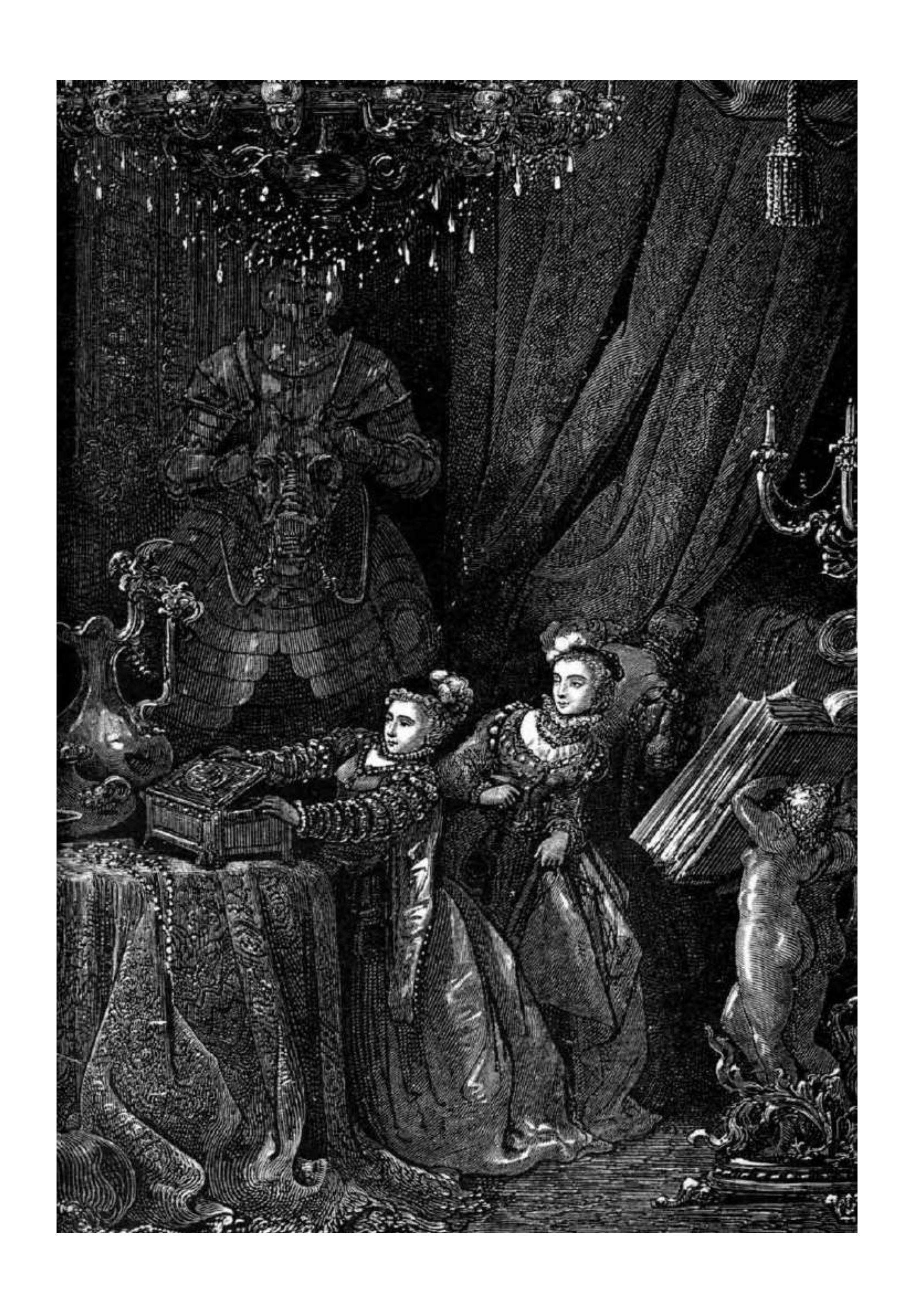


فوعدته بأن تطيع كلّ أوامره، وعانقته مودِّعةً، حتّى ركب عربته وانطلق في رحلته.

الجارات والصديقات المُقرّبات لم يصبِرن حتّى تتم دعوتهنّ إلى منزل الزوجةِ الشابّة، فجئن متشوِّقاتٍ لرؤية الرياش الثمينة في ذلك البيت الذي ما كنّ يجرؤن على المجيء إليه في حضرةِ

الزوج خوفاً من لحيته الزّرقاء. وقد شرعن من فورهنّ بتفقّد الغرف والمقصورات وخزانات الملابس، وقد كانت كلّها غاية في الجمال والترَف. ثمّ صعدن بعد ذلك نحو مخازن الأثاث حيث فتَنَهُنّ جمال المفروشات والأسِرّة والأرائك والخزانات والطاولات والمرايا ذات الحوافّ الفضية والذهبية المطرّزة بالعقيق والتي تعكس صورة المرء من أعلى رأسه حتّى أخمص قدميه. ولم تكفّ الضيفات عن إبداء إعجابهن بثراء المضيفةِ وغبطنَها على النعمة التي تعيش فيها. لكنّ صاحبةَ البيتِ كانت مشغولةً عن كلّ ذلك برغبتِها القويةِ في أنْ تفتحَ الغرفةَ المحظورةَ في الجناح السّفليّ.

كان فضولها يستحثّها ويدفعها، حتّى أنّها تخلّت عن اللياقةِ، وتَرَكت ضيفاتها، ونزلت عن طريقِ درَجٍ جانبيّ ضيّق، وكادت، بسبب تسرّعِها، تصدم رأسَها بالدّرَج مرّتين أو ثلاثاً. وعندما وَصَلَت إلى بابِ الغرفةِ، توَقَفَت لبعضِ الوقتِ، واستعادت كلامَ زوجِها، وفكّرت في المتاعب التي قد يجرّها عليها عدم الامتثال لأوامره؛ ولكنّ رغبتها كانت أكبرَ مِنْ أن تُقاومَ، فتناولت المفتاحَ



الصّغير، وفتحت بابَ الغرفةِ مرتعدةً.

في البدايةِ، لم ترَ شيئاً لأنّ النوافذَ كانت موصدةً؛ وبعد برهةٍ استطاعت أنْ تتبيّن أنّ الأرضيّة مغطاةٌ بكاملها بالدّم المتخثّر، وفي ذلك الدّم كانت تتراءى أجداثُ عددٍ من النّساءِ المقتولات، والمقيّدةِ

جثثهنّ إلى الحائط (كنّ زوجات ذي اللّحية الزّرقاء السّابقات، وكان قد ذبحهنّ الواحدة تلو الأخرى). كادت تموت رعباً، فسقط من يدِها المفتاحُ الذي كانت قد سحبتهُ للتوّ من الرّتاج. وبعد قليلٍ، استرَدّت أنفاسَها، فرفعَت المفتاح من على الأرضِ، وأغلقت البابَ خلفها، وصعدت إلى حُجرتها كي تتمالكَ أعصابها، لكنّها لم تستطع، إذ كانت في منتهى الاضطراب.

لاحظتْ أنّ المفتاحَ قد شابتْه بقعةُ دمٍ، فحاولت مسْحه، لكنّ الدّمَ لم يَجلُ عنه. حاولت أيضاً غسلَه، ثمّ دعكتْه بناعمِ الرّمل والحجرِ الرمليّ، لكنّ بقعةَ الدّمِ بقيت عالقةً، فالمفتاح كان مسحوراً ولا سبيل لتنظيفِهِ، فإذا جلتْ بقعةَ الدّم من ناحيةٍ ظهرت في ناحيةٍ أخرى.

وفي نفس الليلة، عادَ ذو اللّحية الزّرقاء من رحلتِهِ، وقال إنّه قد تلقّى في الطريق رسائلَ تفيدُ بأنّ الأعمالَ التي كان سيسافر لأجلها قد حُسِمَ أمرُها لصالحِه. وفعلت زوجته ما بوسعها لتُظهرَ له أنّها مسرورة بعودته غير المتوقّعة.

وفي الصّباح التالي طلبَ منها المفاتيح، فأعطته إيّاها بيدٍ مرتعشةٍ، ممّا جعله يُخمّن ما قد جَرَى. فقال لها:

- لماذا لا أرى المفتاح الصّغير مع باقي المفاتيح؟

فقالت له:

- لا بدّ أنّي نَسيته في الأعلى فوقَ طاولتي.

فقال لها:

- أرجوك ألاّ تتأخّري في إعادته إليّ.

وبعد محاولات عدّة من قِبَلها للإرجاء، كان لا بدّ لها أن تأتيَ بالمفتاح. وعندما رآه ذو اللّحية الزّرقاء قال لها:

- ما هذا الدّم على المفتاح؟

فقالت له المرأة المسكينة وقد ابيضّ وجهُها من الفزع:

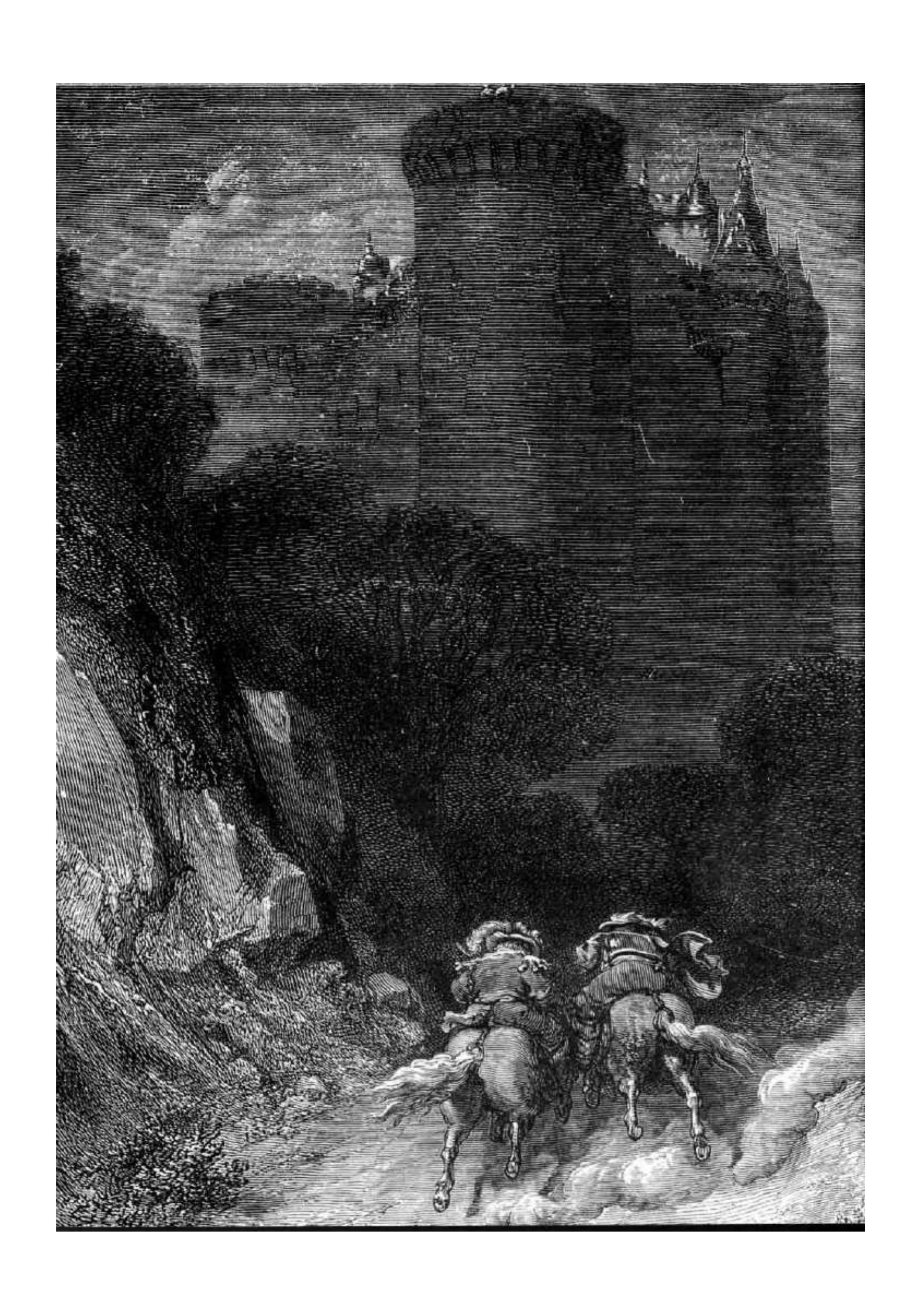
- لا أعلم.

فقال لها ذو اللّحية الزّرقاء:

- لا تعلمين! أمّا أنا فأعلم جيّداً؛ لقد حاولتِ دخولِ الغرفةِ! حسناً يا سيّدتي ستدخلينها، وستأخذين مكانك بين السيّدات اللاّتي رأيتِهنّ فيها.

فارتمت على قدَمَي زوجِها وهي تبكي طالبةً العفو، وعلى وجهها كلّ دلائل النَدَم على عِصيانها لأوامرِه. كان بإمكان الحَجَر أن يرقّ لجمالِها المحزون، لكنّ ذا اللّحية الزّرقاء كان له قلبٌ أقسى من الحجر. فقال لها:

- لا بد من قتلِك يا امرأة، وفي الحال.



فقالت له وعيناها غارقتان في الدّموع:

- إن كان لا بدّ من قتلي، فلتُمهلني بعضَ الوقتِ، ريثما أصلّي للربّ.

فأجابها ذو اللّحية الزّرقاء:

- سأُمهلك دقائقَ فقط، وما من لحظةٍ إضافيّة.

كانت الزوجة بمفردِها، فاستدعت شقيقتها وقالت لها:

- آنْ (وكانت تدعى كذلك)، يا شقيقتي، رجاءً اصعدي أعلى هذا البرج، لتراقبي وصول شقيقيَّ؛ لقد وعداني بأن يأتيا لزيارتي اليوم. فإذا شاهدتِهما يُقبلان، فأومئي لهما ليُعجِلا بالوصول.

وصعدت شقيقتها آنْ إلى أعلى البرج، فيما كانت الزّوجة المذعورة تصرخ بها من لحظةٍ لأخرى:

- هل ترين شيئاً يا شقيقتي؟

فتردّ شقيقتها آنْ:

- لا شيءَ غير ضوءِ الشمسِ وخضرةِ العشب.

وفي تلك الأثناء، كان ذو اللّحية الزّرقاء ممسكاً في يده بسكّين كبيرة يصرخ بزوجته:

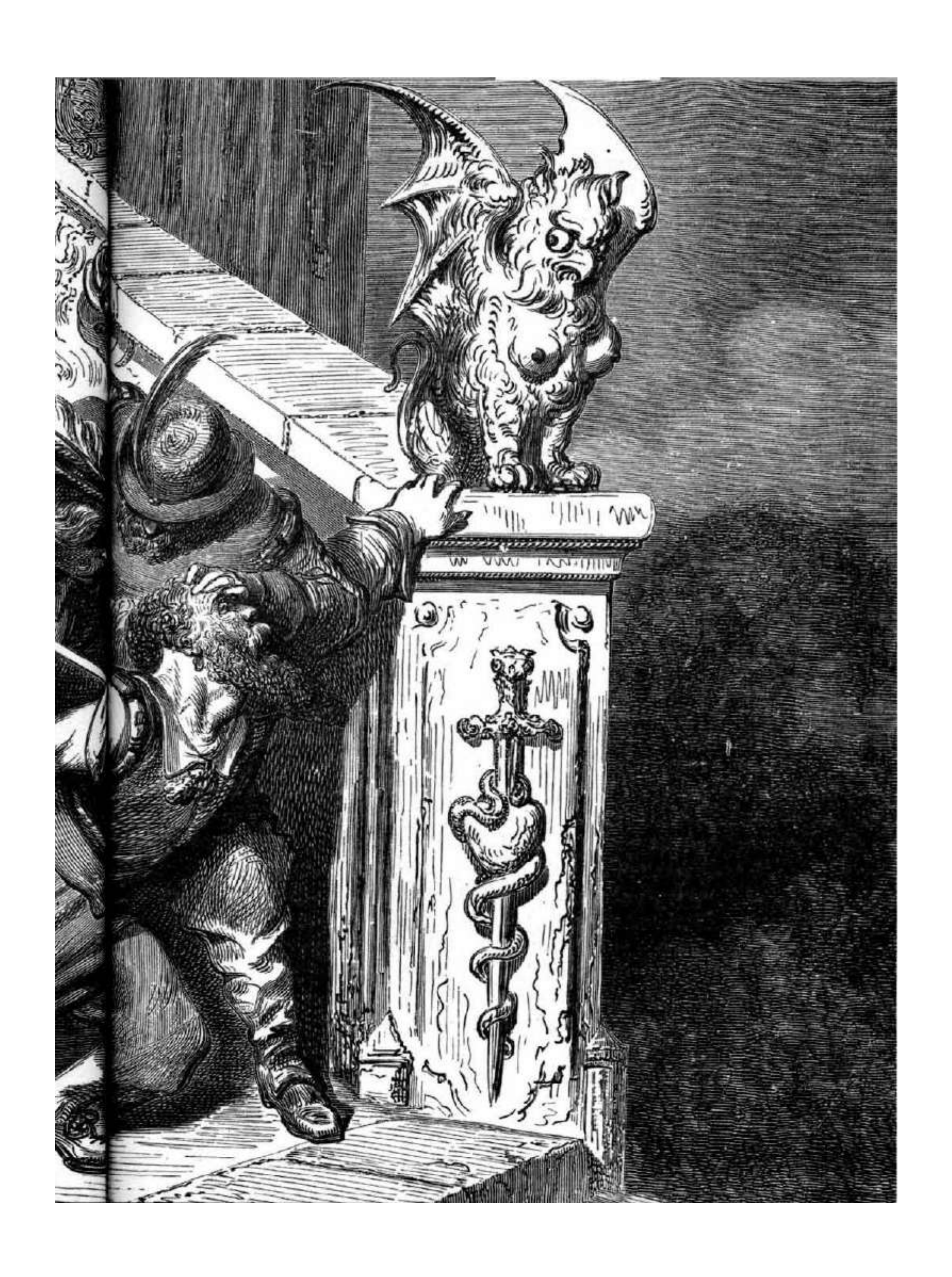
- اهبطي فوراً وإلاّ لَصعدتُ لكِ بنفسي.

فتقول له زوجته:

- أمهِلني لحظةً أخرى من فضلِك.

ثمّ تعاود الصراخ لأختها:





ـ آنْ يا شقيقتي، ألا ترين أحداً قادماً؟

وتردّ الشقيقة من أعلى البرج مرّةً أخرى:

ـ لا أرى شيئاً غير ضوء الشّمسِ وخضرةِ العشب.

ومن أسفل يصرخ ذو اللّحية الزّرقاء مرّةً أخرى على زوجته:

ـ اهبطي فوراً وإلاّ لَصعدتُ لك بنفسي.

وتردّ الزوجة:

ها أنا قادمة.

ثمّ تسأل أختها مرةً أخرى:

ـ آنْ يا شقيقتي، ألا ترين أحداً قادماً؟

فتردّ الشّقيقة:

ـ إني أرى سحابةً من الغبار تثور في هذه الجهة.

فتسألها الزّوجة:

ـ هل هما شقيقاي؟

فتردّ الأخت:

ـ للأسف يا شقيقتي، إنّه مجرّد قطيعِ خراف.

ويصرخ ذو اللّحية الزّرقاء مرةً أخرى:

ـ ألا تُريدين الهبوط؟

وتردّ الزوجة:

ـ لحظةً أخرى من فضلِك.

ثمّ تلتفت تسأل شقيقتها:

ـ ألا ترين شيئاً بعدُ يا آنْ يا شقيقتي؟

فإذا بشقيقتها آنْ تردّ:

ـ أرى فارسين قادمين من تلك الجهةِ، لكنّهما ما زالا بعيدين...

ثمّ صرخت آنْ بعد برهةٍ:

ـ يا إلهيّ! إنّهما شقيقاي. سأحاول أن أؤمئ لهما كي يُعجلا بالوصول.

صرَخَ ذو اللّحية الزّرقاء على زوجته صرخةً قويةً اهتزّ لها البيت كلّه. فهبطت له المرأة المسكينة، وذهبت وارتمت عند قدميه منتحبةً مشعَّثة الشّعر. فقال لها زوجها:

ـ هذا لن يُفيدُك في شيء، ستموتين لا محالة.

ثم أمسكَ بها من شعرِها بيدٍ، وباليدِ الأخرى رفعَ السكّين وهمّ بقطعِ رأسِها. فنظرت المرأة نحوَه بعينين ملؤهما الرّعب ورجتْه أن يُمهِلها لحظةً كي تلتقطَ أنفاسَها. فقال لها:

ـ كلاّ، لا فائدةَ، أسلِمي أمرَكِ للربّ...

ورفع يدَه وهو يهمّ بذبحِها؛ فإذا بطرْقٍ عنيفٍ على الباب، فتوقّفَ ذو اللّحية الزّرقاء، وفُتِحَ البابُ ودخل فارسان شاهرَين سيفيهما، واتّجها مباشرةً إلى ذي اللّحية الزّرقاء.

عرفَ هذا الأخير أنّهما شقيقا زوجتهِ، وكان كلاهما من الفرسان، فهربَ من وجهَيهما على الفورِ، لكنّهما لاحقاه حتّى أمسكا به قبلَ أن يصلَ إلى الدَرَجِ الخارجيّ، وطَعَناه بسيفَيهما، وأردياهُ قتيلاً. كانت المرأة المسكينة قد أشرفَت على الموتِ من الرّعب، فلم تقوَ على القيامِ لمعانقةِ شقيقَيها.

وتبيّن أنّ ذا اللّحية الزّرقاء لا ورثةَ له، وهكذا ظلّت زوجتهُ سيّدةً على كلّ أملاكِه. فأنفقت جزءاً منها على زواج شقيقتها آنْ من شابّ ينتمي إلى طبقة النّبلاء كانت تحبّه منذُ زمن، واشترت لشقيقيها منصبين عسكريّين قياديّين، وبما تبقّى تزوجّت هي نفسها رجلاً طيّباً مخلصاً، أنساها الأوقاتَ العصيبةَ التي كانت قد أمضتْها مع ذي اللّحية الزّرقاء.

**العبرة**

الفضولُ بكلِّ ما لَه من جاذبيّة

غالباً ما يُفضي بنا إلى النّدم

آلافُ الأمثلةِ على ذلك نراها كلَّ يوم

مُتعتُه، وإنْ أحبّتهُ النّسوةُ، ليسَ تدوم

فما إن نفوز بها حتّى تصير عَدَماً

مع أنّها تكلّفنا الكثيرَ دوماً.

**عبْرة أخرى**

من كان له عقلٌ ثاقِب

وكان يعرفُ أمورَ الدّنيا

سرعانَ ما يكون أدركَ أنّ هذه حكايةٌ عن أزمنةٍ قديمة

إذ لم يعُد ثمّةَ أزواجٌ بهذه الفظاظة

يطلبون من زوجاتهم المستحيل

والزّوجُ وإن يكنْ غيرَ راضٍ أو تتأكلّه الغَيرة

تراهُ بِجوارِ زوجته شديدَ الطّاعة

ومهما يكنْ لِلحيتِه من لون

فلن نعرفَ مَن منهما السيّدُ في بيتِه.





## القِطّ العارِف

## أو القطّ ذو الجزمَتين

لم يتركْ أحدُ الطحَّانين لأبنائِه الثلاثة عند وفاتِهِ غير طاحونته وحماره وقطّه. وسريعاً تمّ تقسيمُ الميراثِ دونَ استدعاءٍ لكاتبِ العدلِ ولا للقاضي، خشيةَ أن يأتيا على التركةِ الفقيرةِ كلّها. فأخذَ الابن الأكبرُ الطاحونةَ، والأوسطُ أخذَ الحِمارَ، أمّا الأصغر فلم يتبقّ له سوى القطّ.

ولم يستطع الصّغيرُ أن يواسيَ نفسَه على حظّهِ الضئيلِ من التركةِ، فقال لنفسِه:

- يقدر شقيقاي أن يكسبا عَيشِهما بارتياحٍ إذا عَمِلا معاً، أمّا أنا فحتّى إذا أكلتُ قطّي وصنعتُ من جلدهِ فراءً لكُمّيَّ فسوف أموتُ جوعاً.

كان القطّ يستمع إلى كلامهِ دون أن يبدو عليه ذلك، فقال له بنبرةٍ رصينةٍ وجادة:

- لا تجزعْ يا سيّدي، ما عليك سوى أن تعطيني كيساً، وأن تصنع لي جزمتين كي أخوضَ في الأحراشِ، وسترى أنّ نصيبَك من التركةِ ليس سيئاً كما تظنّ.

ومع أنّ صاحبَ القطّ لم يعوّل كثيراً على كلامه، إلاّ إنّه شعرَ بالأملِ في الخروجِ من بؤسهِ بعدما تذكّر المرّات التي رأى فيها القطّ يقوم بمناوراتٍ رشيقةٍ لقنصِ الفئران والجرذان، كأنْ يتعلَّق من قدميه، أو يختبئ في الطحين ويتظاهر بالموت.

وعندما حصلَ القطّ على ما طلبه، لبسَ الجزمتين بثقةٍ، وعلّق الكيسَ في عنقهِ ممسكاً بحبله بقائمتيه الأماميّتين، وانطلق نحو أرضٍ تغصُّ بالأرانب البريّة. وضع القطّ في كيسِه شيئاً من النخالة والنباتات الطريّة، ورقدَ متظاهراً بالموت، وانتَظَرَ أن تأتي أرنب صغيرة لم تخبَرْ بعدُ حِيَلِ هذا

العالم، فتحشر نفسها داخلَ الكيس لتأكلَ ما فيه. ولم يكَدِ القطّ يرقد حتّى تحقّق له ما أراد، إذ جاءت أرنبٌ صغيرة غافلة، ودخلت في الكيسِ، فشدَّ القطّ الحبلَ، وأغلقَ الكيسَ عليها، ثمّ قتلَها دون رحمة.

أخذ القطّ فريسته وبكل فخرٍ ذهبَ إلى قصرِ الملك، وطلب مقابلته، فأخذوه إلى مجلسه، وما إن دخلَ القط حتّى أبدى للملكِ آياتِ التوقيرِ، وقال له:

- يا جلالة الملك، هذه إحدى الأرانبِ البريّة، وقد أوصاني السيّد مركيز كاراباس (وهو الاسم الذي أطلقه القطّ بوحيٍ من خياله على صاحبِه ابن الطحّان[7]) أنْ أقدّمَها لجلالتكم.

فقالَ له الملك:

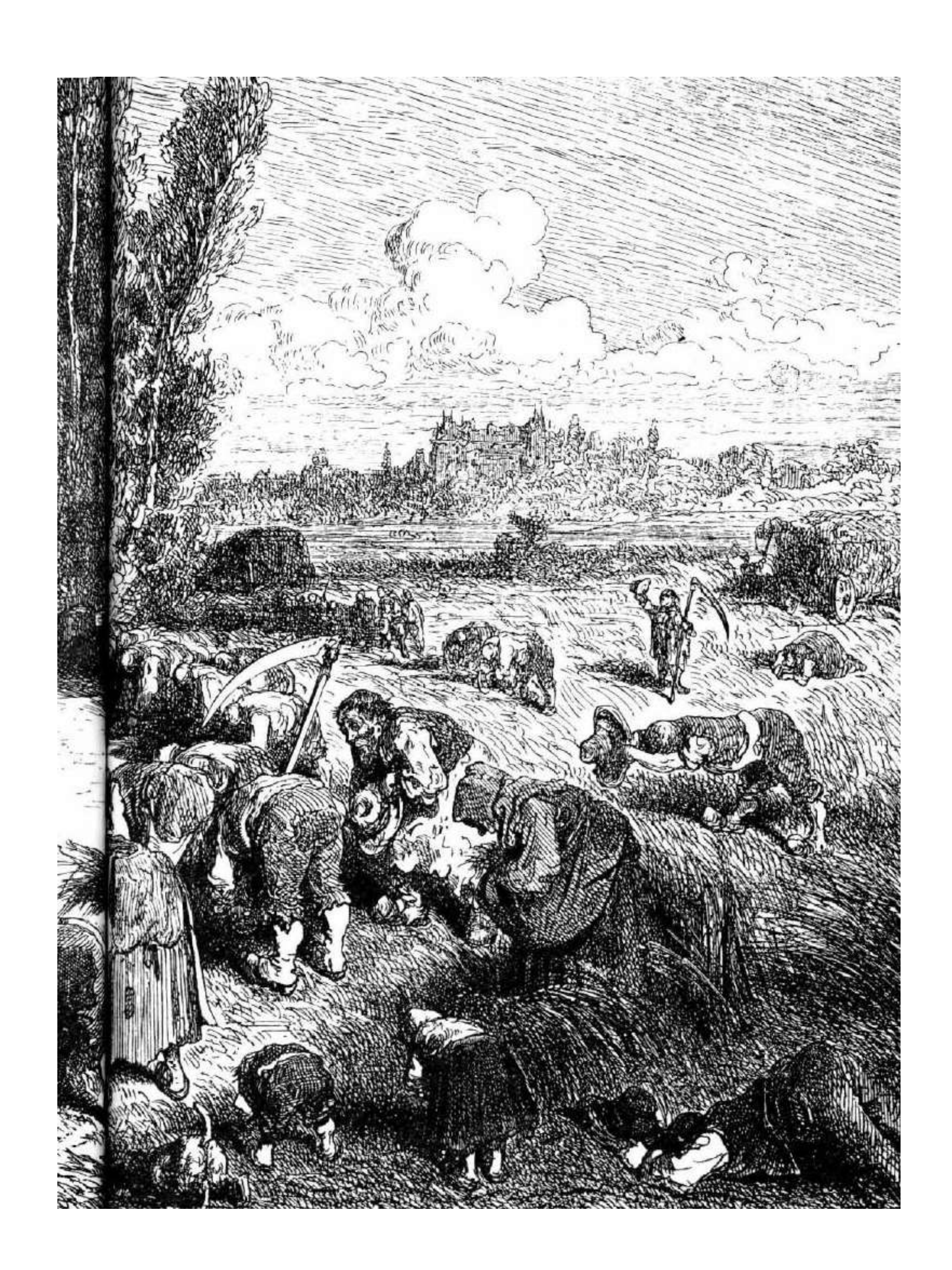
- قلْ لسيّدك إنّ ذلك لَمن دواعي سُروري، وإنّي أشكرَه كثيراً.

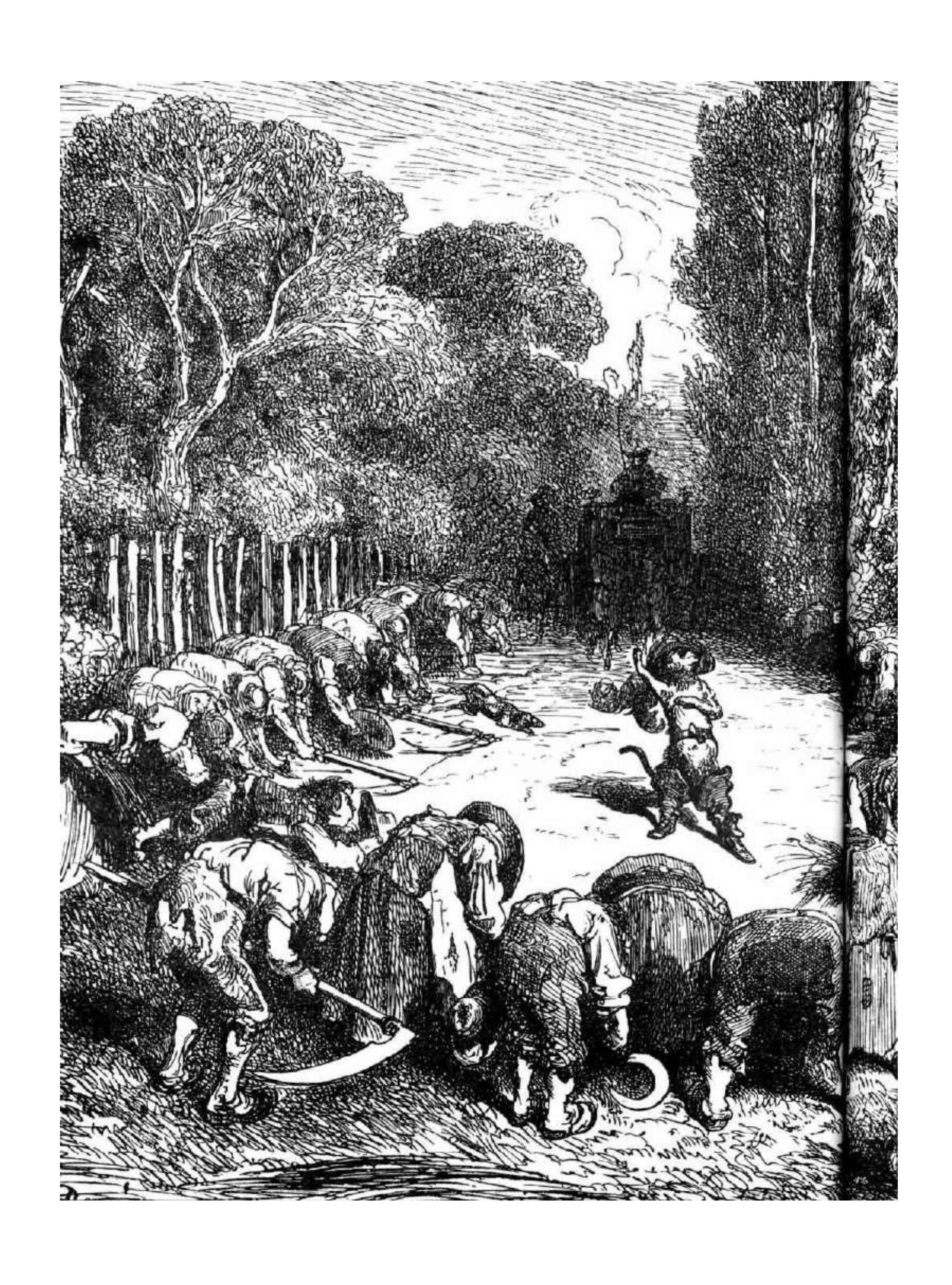
وفي مرّة أخرى، ذهب القطّ واختبأ في أحدِ حقولِ القمحِ بكيسه، فسقط فيه زوجٌ من الحَجَل، فشدّ عليهما الحبلَ، وأخذ الحجَلتَين وقدّمهما من فورهِ إلى الملك كما فعل بالأرنب البريّة، فتقبلهما منه الملكُ شاكراً، وأمرَ بتقديمِ الشرابِ له.

وواصل القطّ على هذا المنوال فترة شهرين أو ثلاثة أشهر. فمن آنٍ لآخر، كان يأخذ للملك طريدةً من صيد سيّده. وذاتَ يومٍ تناهى إلى علمهِ أنّ الملكَ سيخرجُ للنزهةِ على شاطئِ النهرِ مع ابنته، أجمل أميرةٍ في العالم. فقال لسيّده:

- لو سمعتَ نصيحتي، فستضمن الحظّ السعيد. كلّ ما عليك القيام به هو أن تسبحَ في النهرِ في الموضعِ الذي أعيّنه لك، ثمّ اترُكْ الباقي لي.

فقام مركيز كاراباس بتنفيذ ما نصحه به القطّ، دون أن يعرفَ الغرضَ من ذلك. وبَينا هو يسبحُ في النهرِ مرَّ الملك. فأخذ القطّ يهتفُ بكلِّ ما فيه من قوة:





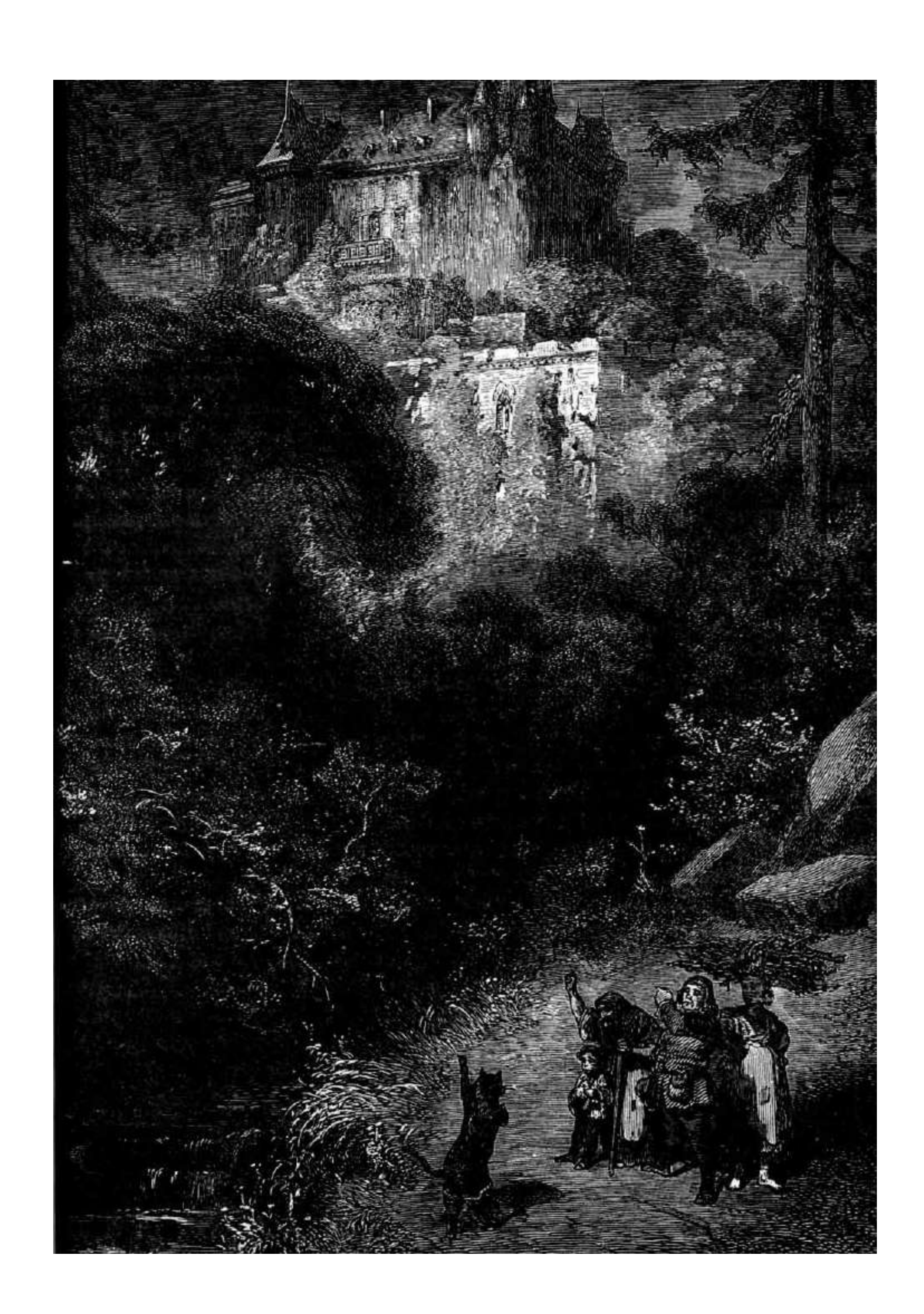
- النّجدة... النّجدة! هوَ ذا السيّد مركيز كاراباس يغرق!

ما إن سمعَ الملكُ هذه الصّرخات حتّى أطلّ برأسهِ من بابِ العربة، وعرف القطّ الذي لطالما أحضَرَ له الهدايا من طرائدِ سيّده، فأمرَّ حرّاسَه بأن يهرعوا لإنقاذ مركيز كاراباس.

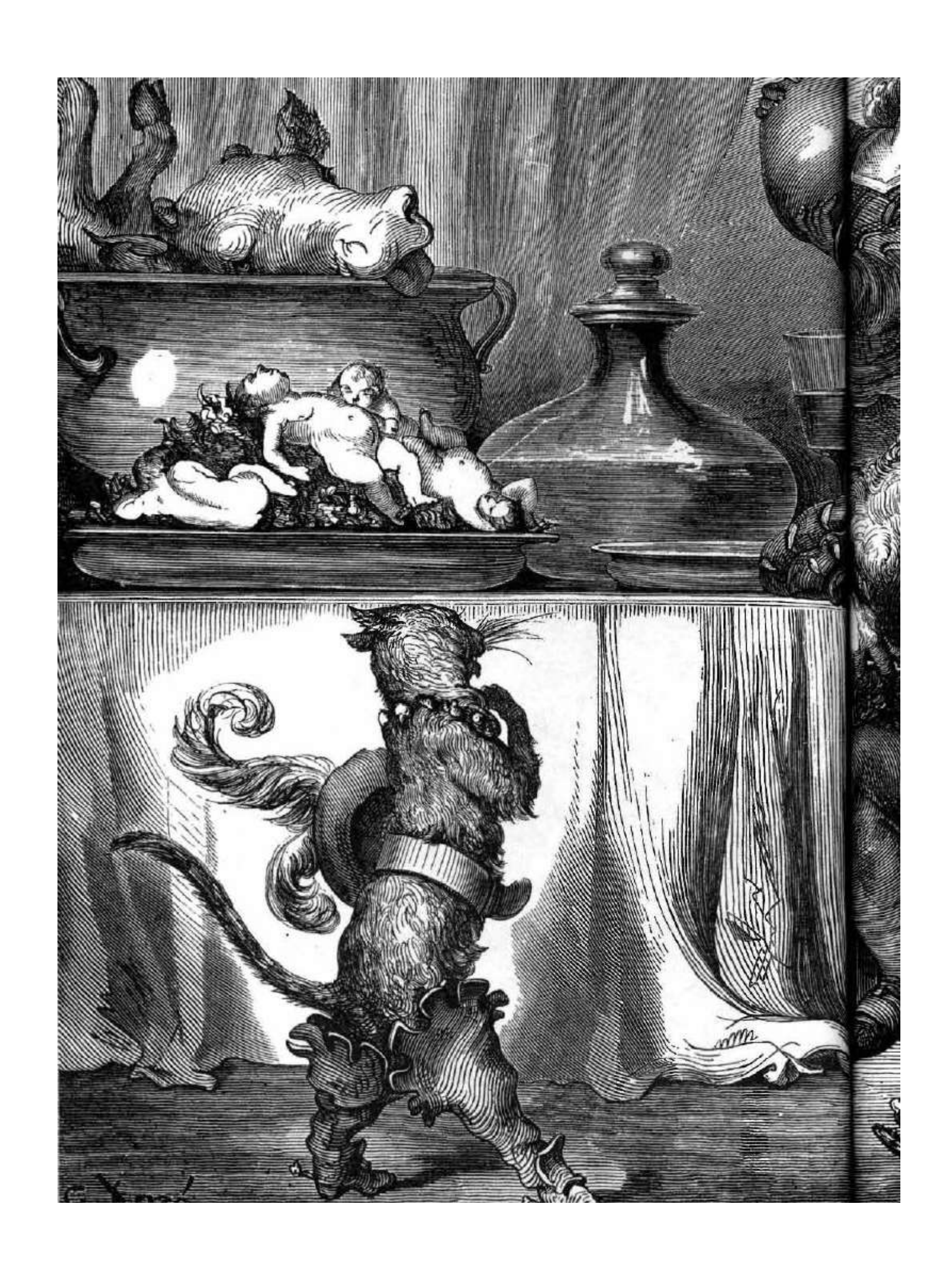
وبَينا كان الحُرّاس يقومون بإخراج المركيز المسكينِ من النهر، اقتربَ القطّ من العَرَبة، وقال للملكِ إنّ بعض اللصوصِ قد سرقوا ملابسَ سيّدِه فيما هو يسبح. وبالرغم من هتافه المتعالي داعياً إلى ملاحقة اللّصوص، فإنّ القطّ العجيب كان قد خبّأَ الملابسَ تحت صخرةٍ كبيرة. وعلى الفورِ، أمرَ الملك حرّاسَه بأن يذهبوا لخزائن ملابسِه، وأن يأتوا بأجملها للمركيز. ثمّ راح الملك يداعب هذا الأخير ويغدق عليه آيات عطفه.

أظهرت الملابس الجميلة التي أتى بها حرّاس الملكِ للمركيز طلاقةَ محيّاه، إذ كان بهيَّ الطلعةِ قويّ الشخصية. فأُعجبت به الأميرة أشدّ الإعجاب؛ وحَدَجَها المركيز بنظرتين أو ثلاثٍ ملؤها الاحترام والرقة، فوقعتْ في حبّه ووَلِعَتْ به.

دعا الملكُ المركيزَ للرّكوبِ معه في العربةِ للتنزّه. أمّا القطّ فقد سَعِدَ لأنّ الخطّةَ التي رسمها بدأت تأخذ طريقها للنجاح، وانطلقَ يسبقهم على الطريق، فقابلَ بعضَ الفلاّحين وكانوا يحصدون في أحد الحقول، فقال لهم:







- أيّها المزارعون الطيّبون، إذا لم تخبروا الملك بأنّ الحقل الذي تحصدونه هو من أملاك السيّد مركيز كاراباس فستُقَطَّعون جميعاً إرَباً إرَباً كاللّحم المفروم.

وبالفعل، سألَهم الملك لدى مروره عمّن يكون صاحبَ الحقلِ، فقالوا له إنّه للمركيز كاراباس، إذ كانوا قد أخافهم تهديد القطّ. فقال الملك للمركيز:

- لديك هنا إرثٌ جيّد!

فردَ المركيز:

- هل رأيت يا مولاي؟ إنّ هذا الحقلَ يغلُّ بوفرةٍ كلّ عام.

وفيما يسبقهم القطّ على الطريق، قابلَ عمّالاً زراعيّين يحصدون قمحاً، فقال لهم:

- أيّها الحاصدون الطيّبون، إذا لم تخبروا الملكَ بأنّ كلَّ هذا القمحِ هو للسيّد مركيز كاراباس فستُقَطَّعون إرباً إرباً كاللحم المفروم.

وعندما مرَّ الملكُ بعدَ قليل، أرادَ أن يعرفَ لمن يكونُ كلّ ذلك القمح، فسألهم، وأجابوه:

- إنّه يا مولانا للسيّد مركيز كاراباس.

فأظهر الملك للمركيز فرحَه من جديد. وكان القطّ الذي يسبقهم دوماً يقول الشيء نفسه لكلّ من يقابلهم على الطريق؛ ممّا أثار دهشةَ الملكِ من وفرةِ أملاكِ المركيز.

وأخيراً وصلَ القطّ إلى قصرٍ بديعٍ يملكه أحدُ الغيلان. وهو من أغنى الأغنياء إذ كانت كلّ الأراضي التي مرّ بها الملك في طريقه تابعةً لهذا القصر. استعلمَ القطّ عن الغولِ وقدراته أوّلاً، ثمّ طلبَ مقابلته، وقال له إنّه لم يشأ المرور بالقصر دون أن ينالَ شرفَ إلقاء التحيّة على صاحبه، وتقديم آيات الاحترام له.

استقبله الغول بأقصى تهذيبٍ يستطيعه كائنٌ مثله، ودعاه للجلوس. فقال له القطّ:

- قيل لي إنّ باستطاعتك أنْ تتحوّل إلى صورةِ أيّ حيوانٍ تريد؛ فهل تستطيع مثلاً أن تصيرَ أسداً أو فيلاً؟

فردّ الغولُ على الفور:

- هذا صحيح، ولكي أبرهنَ لك ذلك ستراني أتحوَّلُ أمامك إلى أسد.

ارتعبَ القطّ لدى رؤية الأسد، وهربَ من أمامِه حتّى بلغَ الميازيب العلويّة، بصعوبةٍ ومجازفة بسبب جزمتيه اللّتين لا تصلحان للسير على قرميد القصر.

وبعد برهة، لاحظ القطّ أنّ الغولَ قد عادَ إلى هيئتِهِ الأولى، فهبطَ معتذراً منه بكونه قد انتابه الذعر. وقال له:

- لقد زعموا – ولكنّني أريد التاكّد- من أنّ بإمكانكَ أيضاً التحوّل إلى حيوان صغير كالجرذ أو الفأر، أعتقد أنّ ذلك من المستحيلات.

فردّ عليه الغول:

- ليس هذا مستحيلاً. سترى.

وفي التوّ تحوّل الغولُ إلى فأر صغير وأخذ يجري على الأرضيّة. وما إن رآه القطّ، حتّى وثبَ عليه والتهمَه.

وفي تلك الأثناء، كان الملكُ قد رأى القصرَ البديع أثناءَ مروره، وأبدى رغبته في دخوله. وسمع القطّ جَلَبَة العربة الملكيّة وهي تمرّ على جسرِ البوّابةِ، فهرع إلى الملك وقال له:

- أهلاً بك يا مولاي في قصرِ السيّد مركيز كاراباس.

فصاح الملك:

- إيه أيّها المركيز، هل هذا القصر أيضاً من أملاكك؟ ما أجملَ هذه الحدائقَ التي تُحيط به وما أروع مبانيه! هل بإمكاننا أن نتفقّده من الدّاخلِ أيضاً؟

أعطى المركيز يدَهُ للأميرةِ الجميلة ليُساعدها على الهبوطِ من العَرَبة. وتقدّمهما الملك داخلاً إلى أحد أبهاء القصر، فوجدوا مأدُبةً كان قد أعدَّها الغول لبعضِ ضيوفِه، ولكنّهم لم يجرؤوا على الدخول إلى القصر عندما علموا أنّ الملك كان فيه. فُتِنَ الملك بسخاءِ المركيز، وكذلك ابنتُه التي شغفت به حبّاً؛ وعندما رأى وفرةَ ممتلكاته، قال له بعد أن شربَ نحو خمسِ كؤوسٍ أو ستّ:

- أيها المركيز ألا ترغبُ في مُصَاهَرتي؟

وافق المركيز على الشّرفِ الذي مُنحَ له مُبدياً آيات التقديرِ والإجِلالِ للملك، وفي اليوم نفسِه تزوَّجَ الأميرة. أمّا القطّ فقد صارَ من النبلاء، وتوقّف عن مطاردةِ الفئران والجرذان، إلاّ للتسلية.

**العِبرة**

مهما تكنِ اللذّةُ التي ينالُها المرء

من التمتُّعِ بثروةٍ موروثةٍ عن الآباءِ والأجداد

فالعملُ وحُسنُ التّصرُّف

هُما للشبيبةِ كنزُها الحقّ.

**عبرة أُخرى**

إذا استطاعَ ابنُ طحّانٍ أن يأسرَ، وبهذه السّرعة،

قلبَ أميرة

وجعَلَها تتطلّع إليه بعينينِ هائمتَين

فلأنّ الشّبابَ والوسامةَ وحُسنَ الهندام

هيَ من أكثرِ ما يُليّنُ القلوب.



# ساحرات الجِنّ

كان يا ما كان، كان هناك سيدةٌ أرملةٌ لديها ابنتان، وكانت الابنةُ الكبرى تُشبِهها تماماً في مَظهَرِها ومَخْبَرِها، من رآها فكأنّه رأى الأمّ. وكانت الأمّ وابنتها هذه بغيضتين مغرورتين لا يُطاق العيش معهما، بينما كانت الابنة الصُّغرى على مثالِ أبيها في اللّطف والأمانة، زدْ على ذلك أنّها كانت من أجملِ الجميلات. ولأنّ الطّيور على أشكالها تقع، فقد كانت الأمّ مولعةً بابنتها الكبرى، بينما كانت تمحض الصغرى بغضاً مهولاً، فكانت تُجلِسها لتتناول طعامها في المطبخ، وتُسَخِّرها في الأشغالِ المنزليّة دونَ هوادة.

ومن مهامّ الفتاةِ المسكينة أنّها كان لزاماً عليها أن تجلبَ الماءَ مرّتين في اليوم من نبعٍ يبعُد نصفَ فرسخٍ عن المنزل، وأن تُحضِرَ منه في كلِّ مرّةٍ جرّة كبيرة ممتلئة. وذات يوم، كانت الفتاة عند ذلك النّبع، فجاءت إليها امرأةٌ عجوز، ورجتْها أن تسقيها بعضَ الماء. قالت لها الفتاة:

- تفضَّلي يا أمّي الطيّبة.

وغسلتْ جرَّتها من أجل العجوز وملأَتها من أفضلِ موضعٍ في النبعِ، ورفعتْها إليها مُسندةً إيّاها بيديها لتشرب منها بيُسر. كانت العجوز جنيّةً اتّخذت هيئةَ قرويّةٍ مُسنّة لتختبرَ تهذيبَ الفتاة. وبعد أنْ شربت قالت لها:

- إنّك جميلة وطيّبة ومهذَّبة، ويسعدني أن أمنحكِ هبة سحريّة. بمقابلِ كلّ كلمة تتفوّهين بها ستخرج من فمك زهرة أو قطعة من حجر كريم.

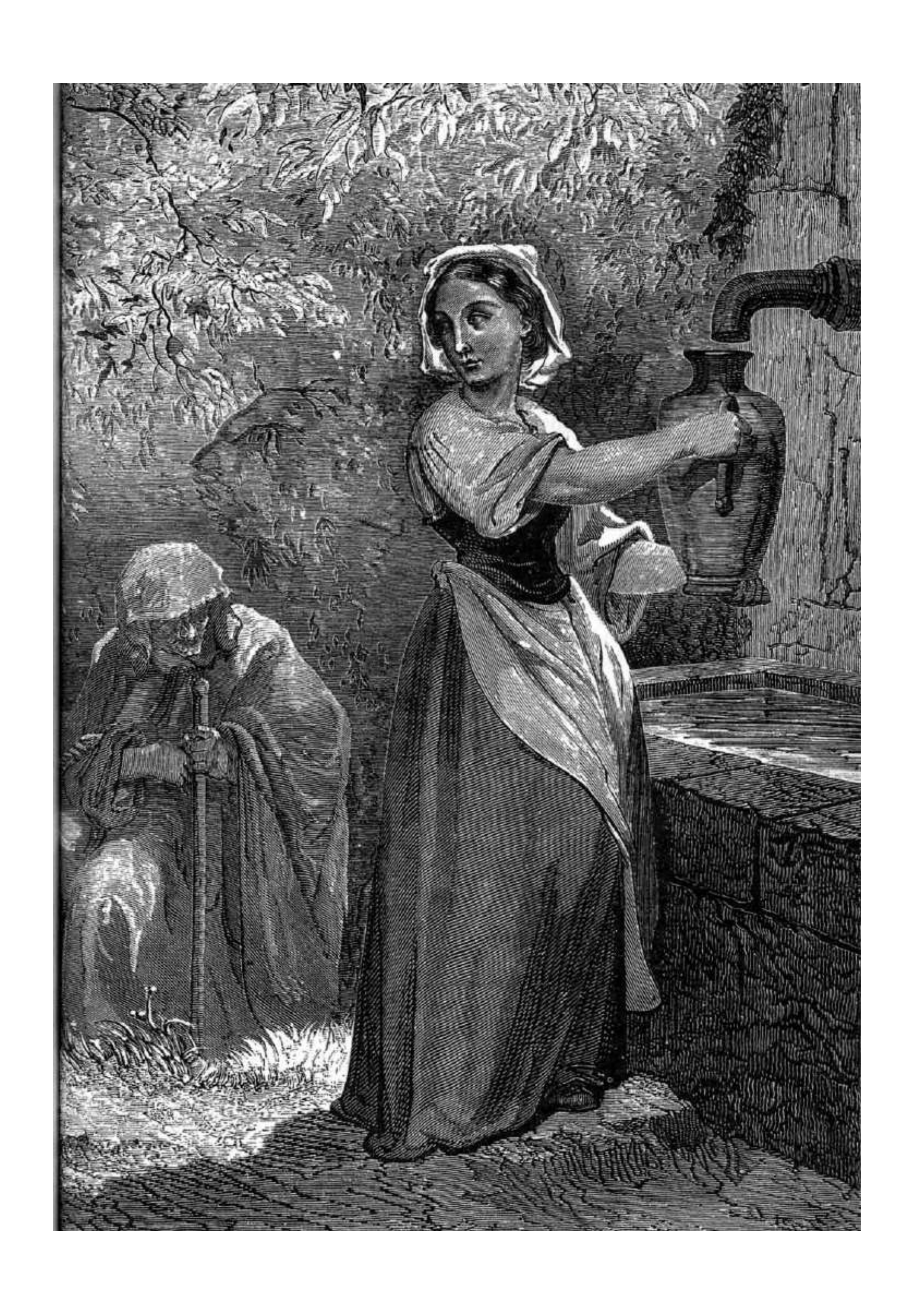
وعندما عادت الفتاة إلى البيت، وبّختها أمّها لتأخّرها عند النبع. فقالت لها الفتاة معتذرة:

ـ أعبّر لكِ عن شديدِ أسفي يا أمّي العزيزة!

وما إن نطقت الفتاة بهذه الكلمات حتّى خرجت من فمها زهرتان، ولؤلؤتان، وقطعتان من الماس كبيرتان. فقالت الأمّ مندهشةً:

ـ ما هذا الذي أراه؟ لقد رأيتُ لآلئ وماساتٍ تخرج من فمك! من أين يأتي هذا يا ابنتي؟

وكانت هي المرّة الأولى التي تناديها بكلمة «ابنتي». فحكت لها الفتاة الصغرى ببراءةٍ ما جرى لها مع العجوز، ولم يتوقّف الماس عن التدفّق من فمها أثناء سردها حكايتها. فقالت لها الأمّ:



حقّاً، ينبغي أن أرسلَ ابنتي إلى هناك.

ونادت على ابنتها الأثيرة:

- انظري يا «فانشون» (وكان هذا هو اسمها)، يا ابنتي، ما الذي يخرج من فم شقيقتك عندما تتكلّم. ألن يكونَ جميلاً أن تتمتّعي بالخَصلة نفسها؟ لن يكون عليك سوى الذهاب لجلبِ الماءِ من النبعِ، وعندما تطلب منكِ امرأة عجوز أن تشربَ فاسقيها بكلّ إخلاص.

فردّت الفتاة بصَلَف:

- لن يسرّني أن أذهبَ إلى النبع.

قالت لها الأمّ:

- أريدُ أن تذهبي إلى النّبعِ، وفي الحال.

وذهبت الفتاة متذمّرةً، وأخذت معها أجمل إبريق فضيّ كان لديهم في البيت. وما إن وصلت إلى النبع حتّى رأت سيّدة ترتدي ملابس رائعة تخرج لها من الغابةِ، وتطلب منها شربة ماء. كانت هي الجنّية ذاتها التي ظهرت لشقيقتها، وإن اتّخذت هذه المرّة سماتِ أميرةٍ حسناء، كي ترى مدى تهذيبِ هذه الفتاة. فقالت لها الفتاة بصَلَفٍ وغرورٍ:

- وهل أتيتُ هنا لأسقيك؟ لم أُحضِرْ معي هذا الإبريق الفضيّ خصّيصاً لك. اشربي بنفسك من النّبع إذا أردتِ ذلك.

قالت لها الجنّية بكامل الهدوء:

- لستِ فتاةً فاضلةً، ولأنّك متجرّدة من الكرم إلى هذا الحدّ، فسأجعلُك تُخرِجين من فمك ضفادعَ وأفاعيَ عند كلّ كلمةٍ تتفوّهين بها.

ما إن رأت الأمّ ابنتها تعود حتّى سألتْها:

- كيفَ الحال يا ابنتي؟

فردّت الفتاة:

- بخيرٍ يا أُمّي العزيزة.

قالت الفتاة القاسية تلك الكلمات، وقد قَذَفَت من فمِها ضِفدعين وثُعبانين. فصرخت الأمّ:

- يا إلهي! ما الذي أراه هنا؟ لا بدّ أنّ شقيقتك هي السّبب في ذلك، وسوف تنالُ جزاءَها.

وهُرِعَت الأمّ لتضربَ الفتاة المسكينة، التي جرت من أمامِها وفرَّت إلى الغابةِ القريبة. فقابلها ابنُ الملكِ، وقد كان عائداً من الصيد، فوجدها جميلة للغاية فسألها عمَّا تفعل وحدَها في الغابةِ، وعن سببِ بكائِها. فقالت له:

- للأسف يا سيّدي، فإنّ أمّي هي التي طردتني من البيت.

رأى ابنُ الملك عدداً من اللآلئِ وقطعِ الماس تخرج من فمِها عند الكلام، فسألها عن سرّ ذلك، فقَصّت عليه مغامرتَها كاملةً. فوقع الأمير في حبّها، وقدّر أنّ موهبتها تفوق ما سيحصل عليه أيّ شخص في زيجةٍ أخرى، فاصطَحَبها إلى قصرِ أبيه الملك، وتزوَّجها.

أمّا شقيقتها فقد صارت كريهةً حتّى أنّ أمّها نفسها طردتها من المنزل، وبعد أن توغّلت في الغابات دون أن تجدَ من يقبل باستضافتها، ماتت في ركنِ إحدى الغاباتِ وحيدةً.

**العِبرة**

قِطَعُ الذّهبِ والماس

لها على النّفوسِ مفعولُ السِّحر

لكنَّ للكلمةِ الطيّبةِ أثراً يفوقُ ذلك

وثمّنُها يظلُّ أغلى.

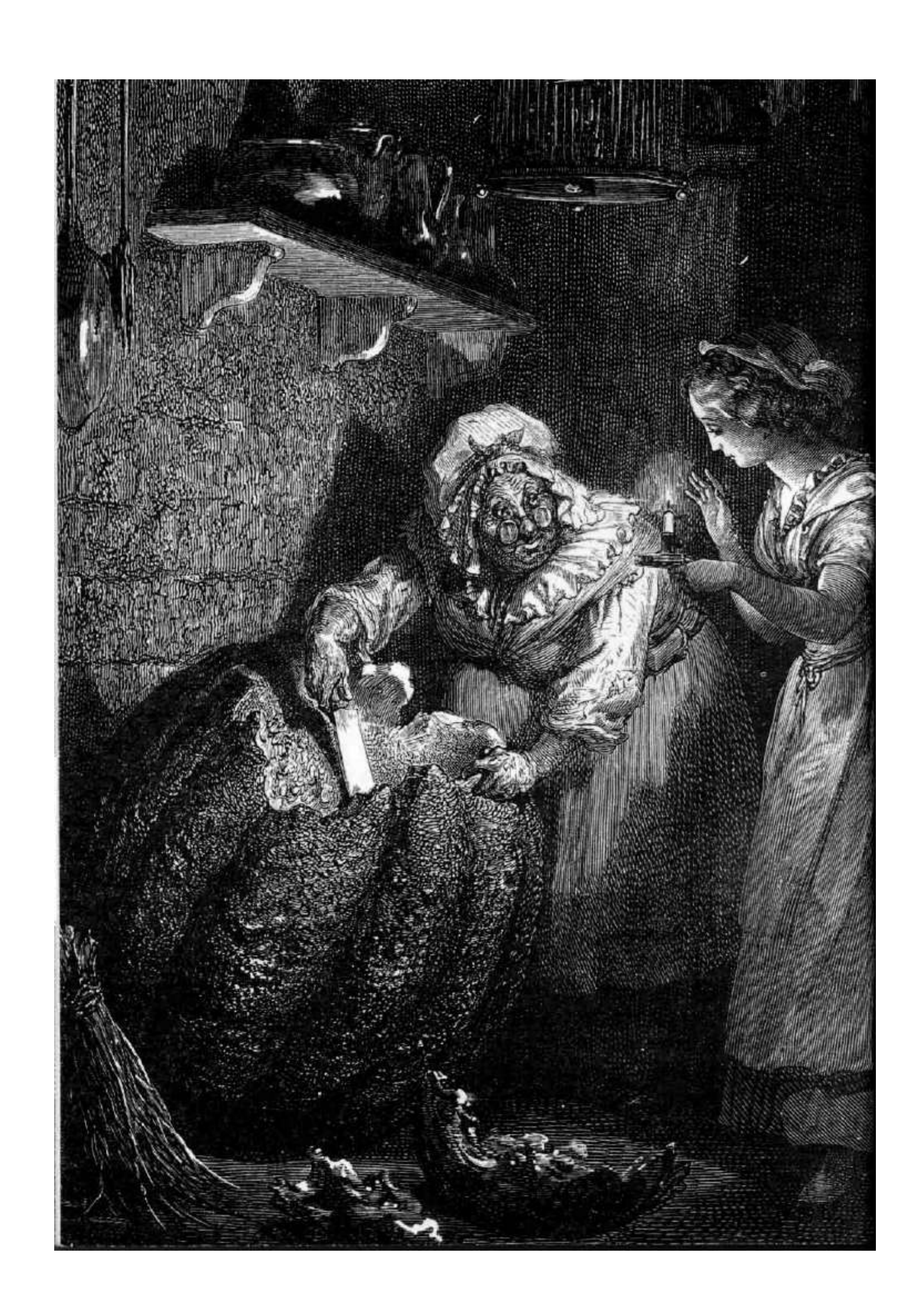
**عبرة أخرى**

الأخلاقُ الكريمةُ تستدعي الرّعاية

وقدْراً من اللّطف

ولكنْ عاجلاً أو آجلاً نجني ثمارَها

وغالباً حيثُ لا نتوقّع.



## سندريلاّ[8] والخُفّ البلّوريّ الصّغير

كان ياما كان، كان هناك رجلٌ طيب، اقترنَ في زيجةٍ ثانيةٍ بامرأةٍ من أكثر الناسِ غطرسةً وغروراً. وكان لتلك المرأة ابنتان على شاكلتها، تُماثِلانها في كلّ الصّفات. وكان للرّجلِ بدوره ابنة شابّة، لكنّها كانت ذات رقّة وطيبة مُنقطعتَي النظير، وقد ورثت هذا عن أمّها التي كانت من أرقّ نساء العالَم وأكثرهنّ طيبة.

لم تَكَد أيّامُ العُرسِ تنتهي حتّى أسفَرَت زوجةُ الأبِ عن طبعِها السّيّئ؛ فلم تستطع احتمالَ خصال الفتاة الطيّبة التي جعلت ابنتيها تبدوان بالمقارنة بها كريهتين. فأخذت تُكلّفها بأشقّ الأعمالِ في المنزل، فكانت الفتاة هي دوماً من تغسل الأواني وترتّبها، وتنظّف حجرات زوجةِ الأبِ وابنتيها. كما كانت تجعلها تنام في مخزَن الغِلال، على فرشةٍ حقيرةٍ من القشّ، فيما كانت الفتاتان الأخريان ترقدان على أسرّةٍ من أحدثِ طرازٍ، في غرفتين بأرضيّة خشبية، ومرايا على الجدران تعكسُ صورةَ المرءِ من أعلى رأسه حتّى أخمص قدميه. وكانت الفتاة المسكينة تحتمل صابرةً، ولا تجرؤ على الشكوى لأبيها حتّى لا ينهرها، فقد كانت زوجتُه تَتَحكم به تحكّماً مطلقاً.

وكانت إذ تنتهي من عملها تذهبُ لتجلسَ وسطَ الرّماد بالقرب من الموقد، فأطلقوا عليها في المنزل اسم سندريلاّ، أي «فتاة الرّماد». وبالرّغم من ملابسها القذرة، كانت سندريلاّ تبدو أجمل مائة مرّة من أختيها في ملابِسهما الباذخة.

وحدثَ أنْ أقامَ نجل الملكِ حفلاً راقصاً دعا إليه جميعَ الوجهاء، وبينهم الأختان المغرورتان وقد اعتُبِرتا من الأعيان. وها هما فَرِحتان مشغولتان باختيارِ الملابس، وبتصفيف شعرَيهما، لتظهرا

بأفضلِ مظهر مُمكن، ممّا أضاف لمعاناةِ سندريلاّ، لأنّها هي من كانت مكلّفة بكيّ ملابسهما وتزيينها. أمّا الفتاتان المغرورتان فقد انهمكتا في الحديثِ حول الملابس، فقالت الكبرى:

- أنا سأرتدي ثوبيَ المِخمليّ الأحمر، مع الحليّ التي أتيتُ بها من إنجلترا.

وقالت الصغرى:

- أنا سأرتدي تنّورتي العاديّة، ولكن سأضع أيضاً معطفي ذا الورداتِ الذهبيّةِ والمِشْبَك الماسيّ الذي ليس عديم التأثير.

وجيء بأفضل مصفّفةِ شعرٍ للفتاتين، فصفّفت شعرَهما وثبّتتْ عليه قلنسوتين هفهافتين، وأُلصِقَتْ على وجهَيهما خالاتٌ ورقيّةٌ تُبرز بياضَ بشرَتَيهما كما كان سائداً في ذلك العهد. واستَدعتِ الفتاتانِ سندريلاّ لتأخذا رأيها لأنّها كانت ذات ذوق رفيع، فأغدقت عليهما نصائحها، وساعدت في تزويقهما كما رغبتا. وسألتاها بينما هي تساعد في تصفيف شعريهما:

- هل ستكونين سعيدةً إذا جئتِ معنا إلى الحفل الراقص؟

فردّت عليهما:

- واحسرتاه، هل تسخَران مني؟ مِثْلُ هذه الأماكن ليست لي.

فقالتا لها:

- إنّكِ لَمُحقّة! سيضحك الناس عندما يرون فتاةَ الرّمادِ ذاهبةً إلى الحفل الراقص.

لو كانت فتاة أخرى غير سندريلاّ لأساءت تصفيفَ شَعريهما عن قصدٍ، ولكنْ لأنّها طيّبة القلبِ فقد صفّفت شعرَيهما بأفضلِ صورة. ومن فرط الاستثارةِ والفرح، لم تقرب الفتاتان الطعامَ لمدّةِ يومين. ولقد تمزّق إثنا عشر شريطاً لفرط ما شَدّتْ أشرطة الفساتين لجعلِ خصرَيهما أكثر نحافة. وظلّت الفتاتان طوال الوقت أمام المرآة.

وفي نهاية المطاف جاءَ اليومُ الموعودُ، فانطلقتا إلى الحفل. وتابعتهما سندريلاّ طويلاً حتّى اختفتا عن ناظريها، فانخرطت في البكاء. وعندما رأتها الجنّية عرّابتها غارقةً في دموعِها، سألتها عمّا بها. ومن شدّة بكائها لم تتمكّن سندريلاّ من الإجابة وتلعثمتْ:

- أريد أن.. أريد أن...

فأكملت لها الجنّية:

- تريدين أن تذهبي للحفلِ الراقص، أليس كذلك؟

تنهّدت سندريلاّ وقالت:

- نعم، واحسرتاه.

قالت الجنّية:

- حسناً، إذا كنتِ فتاة طيّبة فسأمكّنكِ من الذهاب إليه.

وأخذتها إلى غرفتِها وقالت لها:

- اذهبي إلى الحديقةِ، وأحضري لي ثمرةَ يقطين.

وذهبت سندريلاّ إلى الحديقةِ، وقطفت أفضلَ ثمرةِ يقطين وجدتها هناك، وأخذتها إلى عرّابتها، دون أن تعرفَ كيف ستُساعدها تلك الثمرةُ على الذهابِ إلى الحفل. فقامت الجنّية بتفريغها ولم تُبقِ إلاّ على قشرتها، ثمّ ضَرَبتها بعصاها السّحريّة، فاستحالت اليقطينة عربةً ذهبيّةً جميلة.

ثم ذهبت الجنّية لتتفقّدَ مصيدة الفئران في غرفتِها، فوجدت بها ستّ فئران ما تزال حيّة. فقالت لسندريلاّ أن تفتحَ شركَ المصيدة، وأخذت تضرب كلّ فأر تخرج منها بعصاها فتتحوّل فرَساً جميلاً رماديّ اللّون أرقط.

ثمّ تحيَّرت ممّا تصنع الحوذيّ، فقالت سندريلاّ:

- سأذهب لأرى مصيدةَ الجرذان، إن كان بها جرذٌ فنجعله حوذيّاً.

فقالت لها عرّابتها:

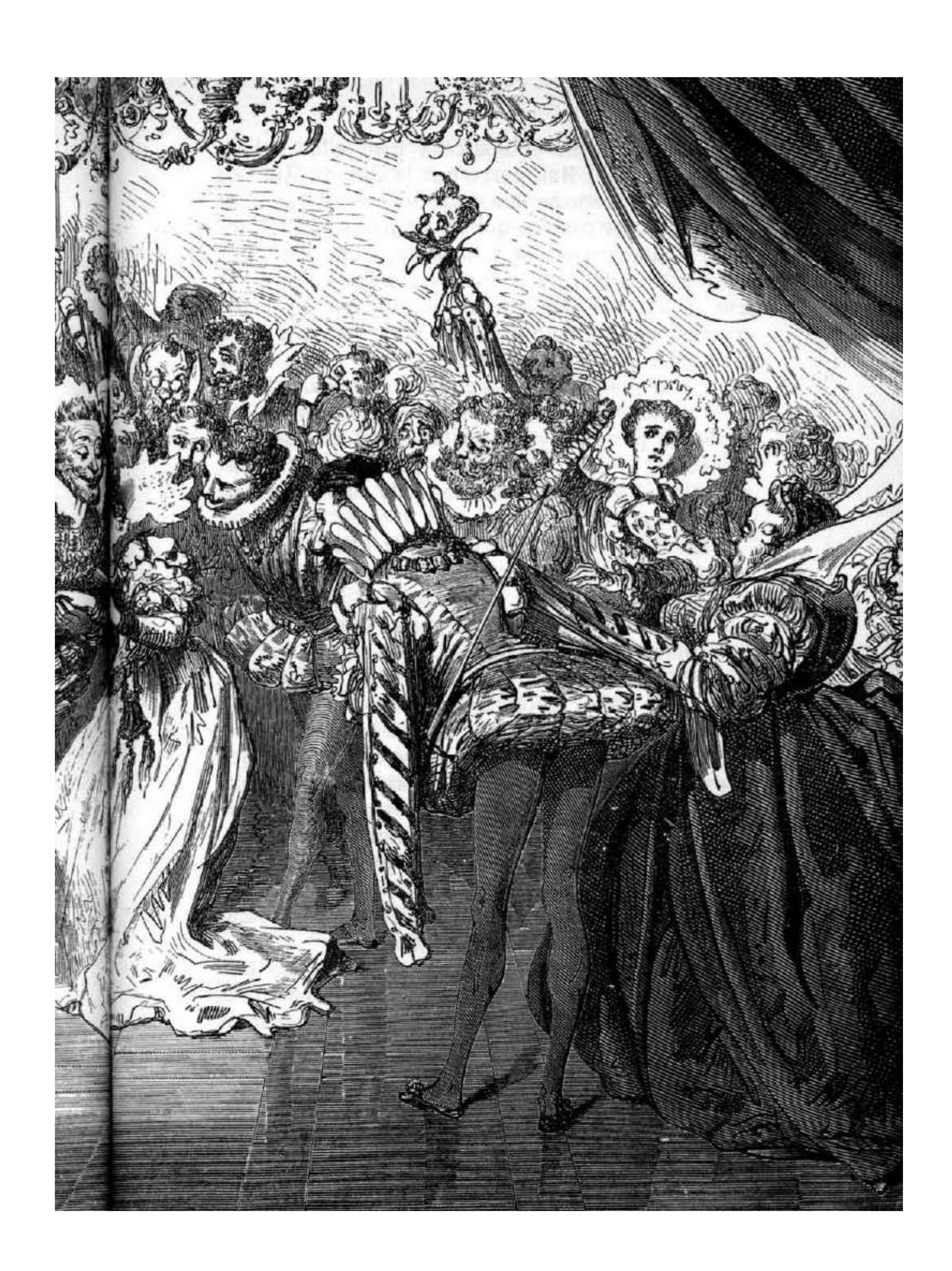
- أصبتِ، فلتذهبي.

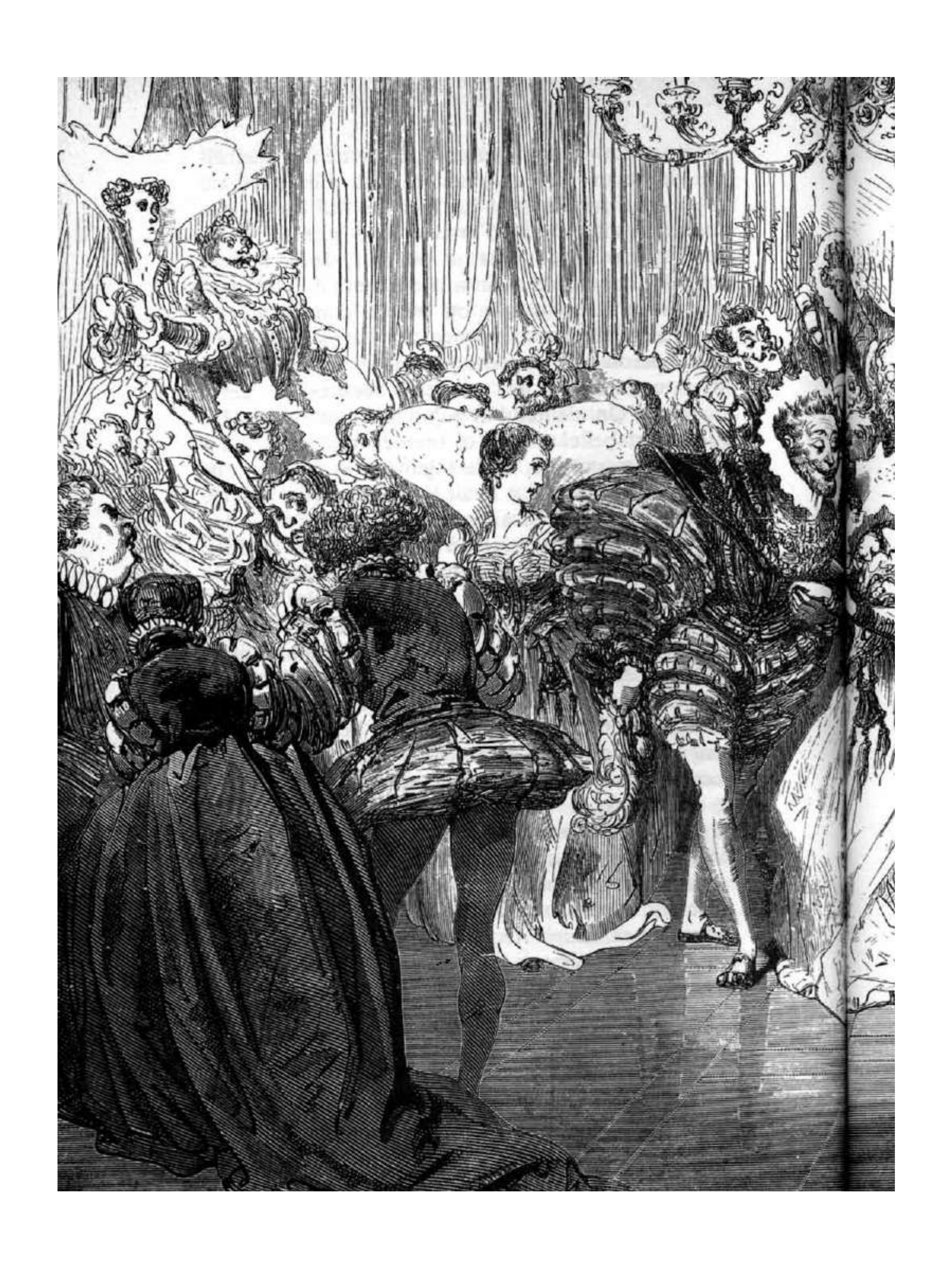
وأحضرت لها سندريلاّ مصيدةَ الجرذان، وكان بها ثلاثة جرذان ضخمة، فاختارت الجنّية أحدها بسبب لحيته الطويلة، ومسّته بعصاها فتحوّل حوذيّاً سميناً ذا شاربٍ أنيق. ثمّ قالت لسندريلاّ:

- اذهبي إلى الحديقة. ستجدين خلفَ مسقاةِ الزهور ستّ عظاءات. أحضِريها لي.

وما إن أحضرَت سندريلاّ العظاءات حتّى حوّلتها الجنّية إلى ستّةِ حُجّابٍ تعلّقوا بمؤخّرة العربة بأزيائهم المرصّعة بجواهر خلاّبة، كما لو كانوا يؤدّون هذا الدّورَ طيلة حياتهم. وقالت الجنّية لسندريلاّ:

- حسناً، هكذا ستذهبين إلى الحفل بالوسيلةِ الملائمة. هل





أنتِ راضية؟

فقالت لها سندريلاّ:

- نعم، ولكن هل سأذهبُ بهذه الملابسِ الرثّة؟

مسَّتها الجنّية بالعصا السّحريّةِ، فاستحالات ملابسُها القذرة ثوباً مرصّعاً بقطع الذهب والفضّة والأحجار الكريمة. وأعطتها بعد ذلك خفّينِ من البلّور ليس لهما مثيل في العالم. وعندما صارت سندريلاّ على أهبةِ الاستعداد، رَكبَتِ العربة. وأوصتها عرّابتها، قبل أن تنطلق، ألاّ تبقى بعد منتصف الليل في الحفل، محذّرةً إياها من أنّها إذا بقيت لحظةً واحدةً بعد ذلك تحوّلت العربة من جديدٍ ثمرةَ يقطين، وعادت الجياد فئراناً، والحُجّاب عظاءاتٍ، واستعادت ملابسُها هيأتَها الرثة.

وعدتْ سندريلاّ عرّابتَها الجنّية بمغادرة الحفل قبل انتصافِ الليل، وانطلقت وهي في ذروةِ الفرح. وعندما وصلت إلى الحفلِ، أخبروا ابنَ الملك أنّ أميرةً عظيمةً قد جاءَت، ولا أحدَ يعرفُ من هي. فهُرِعَ لاستقبالها، وأعطاها يده بينما هي تهبطُ من العربة، واصطحبها إلى القاعة التي كان يجري فيها الحفل. فحلّ الصّمتُ، وتوقّفَ الراقصون عن الرقصِ، وسكتت الكمنجات عن العزفِ، وذُهِلَ الجميع لمرأى الجمالِ الباهرِ لتلك الفتاة المجهولة. وسُمِعَ لغطٌ من الهمسات المختلطة يقول: ما أجملَها!

الملك نفسه، وكان شيخاً مسنّاً، لم يكفّ عن التطلّع إليها، وهمسَ لزوجتِهِ الملكة بأنّه لم يرَ منذ فترة طويلة فتاةً بِجَمالِها ولُطفها. وأبدت جميع السيّدات الحاضرات إعجابهنّ بملابسها وتسريحةِ شعرها، وتساءلن عن إمكانِ وجودِ أقمشة بهذه الجودة، وخيّاطين ومصفّفي شعرٍ بهذه المهارة للحصول على مثلها.

وأجلسَ ابنُ الملكِ سندريلاّ في أفضلِ مكان، ثمّ اصطحبها بعد ذلك للرقص. فرقصت ببراعةٍ حتّى ازداد إعجاب الحاضرين بها. وجيء للمدعوّين بطعامٍ، فلم يقرُب الأمير الشابّ الطعامَ لانشغالِه بجمالِها. وذهبت سندريلاّ وجلست بجوار أختيها، وألقت عليهما المجاملاتِ المناسبةَ، وقدّمت لهما برتقالاً وليموناً ممّا أعطاها الأمير؛ فاندهشتا لذلك بشدّة، إذ لم يعرفاها.

وبَينا يتجاذبن أطرافَ الحديث، سمِعَت سندريلاّ الساعةَ تدقّ الثانية عشرة إلاّ الرّبع، فانحنت مودّعةً صاحبتيها في تبجيل، وانطلقت مُنصرِفةً بأقصى سرعة. وما إن وصلتْ إلى البيت حتّى ذهبت لتلقى عرّابتها، فشكرتها، وقالت لها إنّها تتمنّى أن تذهب إلى الحفلِ الرّاقص في الغدِ أيضاً، لأنّ الأمير رجاها أن تحضر. وبَينا هي تقصّ على عرّابتها ما دار في الحفل، طرقت الأختان البابَ، فذهبت سندريلاّ لتفتحَ لهما، وهي تفرك عينيها وتتثاءب متظاهرةً بإنّها استيقظت لتوّها من النوم، وقالت لهما:

- لقد بقيتُما طويلاً في الحفل.

فردّت إحدى الأختين عليها:

- لو كنتِ معنا لما مللتِ لحظةً واحدة. لقد جاءت أميرةٌ جميلة، من أجمل الجميلات، وقد كانت في غاية اللّطفِ معنا، وقدّمت لنا برتقالاً وليموناً.

شعرت سندريلاّ بفرحٍ غامر، وسألتهما عن اسم تلك الأميرة، فأجابتاها أنْ لا أحدَ يعرف، وقالتا إنّ ابنَ الملك تحيَّر كثيراً لذلك، حتّى إنّه أبدى استعداداً لبذلِ الغالي والنفيس ليعرفَ من هي. فابتسمت سندريلاّ وقالت:

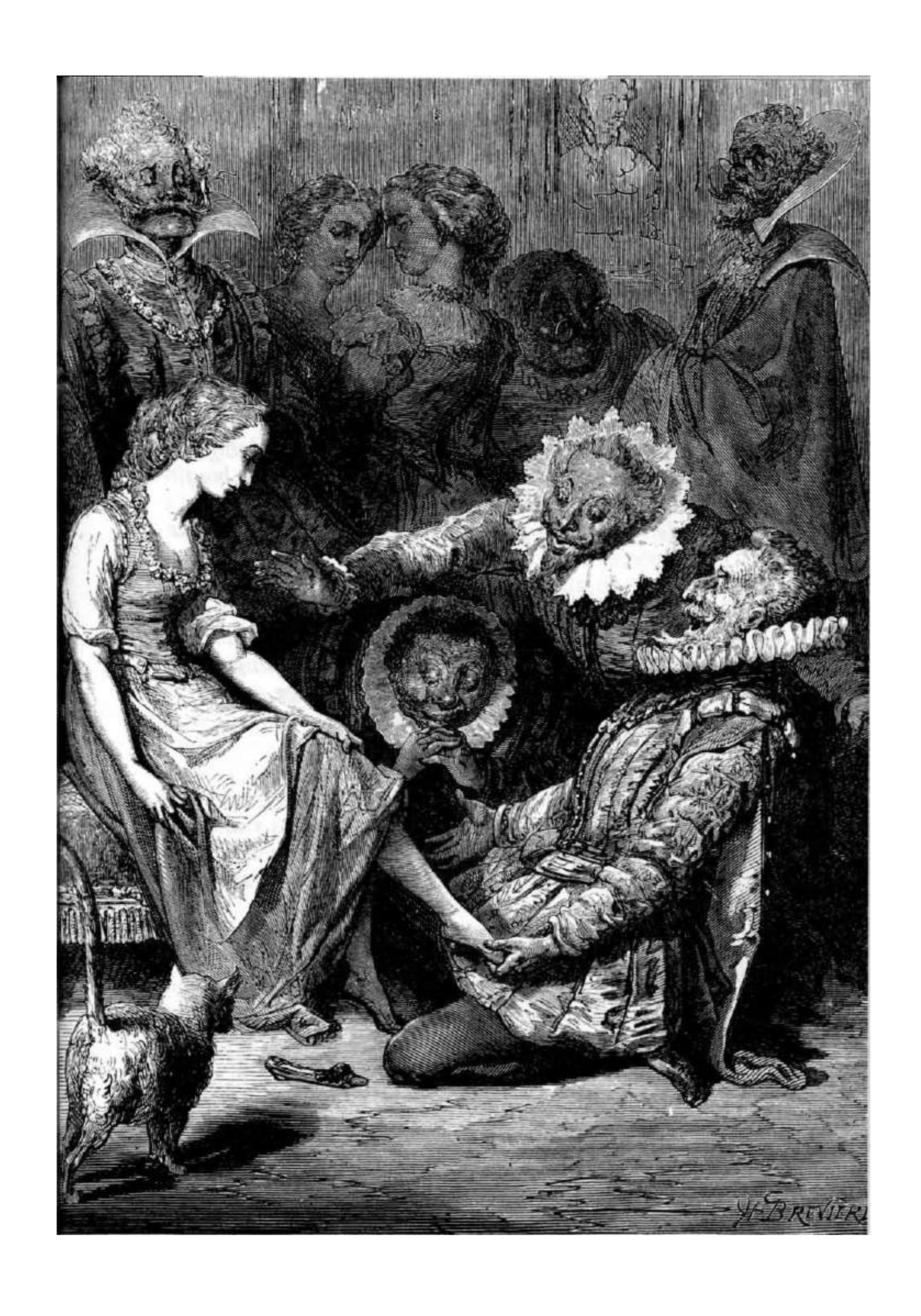
- إذن فقد كانت جميلة؟ يا إلهي كم أنتما محظوظتان! ألا أستطيع أن أراها؟ يا «جافوت»، يا أختي، هل تُعيرينني ثوبَكِ الأصفرَ الذي ترتدينَه كلّ يوم؟

فرَدَت جافوت:

- لستُ مجنونةً لأُعيرَ ثيابي لفتاةٍ رثّةٍ غارقةٍ في الرّماد.

وكانت سندريلاّ تنتظر هذا الرفضَ، وارتاحت له، لأنّها كانت ستشعر بحرجٍ شديدٍ لو قَبِلَت أختها بإعارتَها الفستان.

وفي اليوم التالي ذهبت الأختان إلى الحفل، وكذلك ذهبت سندريلاّ في زينةٍ كانت أبهى من زينتها في المرّةِ الأولى. وبقيَ نجل الملك بالقربِ منها، يُناجيها بأعذبِ الكلام، ومرَّ الوقتُ عليها



ممتعاً، فنسيت وصيّةَ عرّابتها، ولم تشعر بنفسِها إلاّ والساعة تدقّ أولى دقّات منتصفِ الليل، فقامت وانسحبت بخفّةِ ظبية. وتبعَها الأمير، لكنّه لم يفلح في اللحاق بها. وسقط من إحدى قدميها أحدُ خُفّيها البلّوريّين، فالتقطه الأمير بكلِّ حرص. وصلت سندريلاّ إلى البيتِ لاهثةً، بدون العربةِ والخدم، وبملابسِها الرثّة، ولم يكن بقيَ لها من الفخامة سوى خُفّ بلّوريّ هو قرينُ ذلك الذي سقطَ

من إحدى قدميها. وسُئل الحُرّاس ببابِ القصرِ إن كانوا قد رأوا أميرةً تخرج؛ فقالوا إنّهم لم يروا سوى فتاة شابّة بملابس رثّة، تبدو كمثْلِ فلاّحة لا كمثْلِ آنسةٍ رفيعةِ المقام.

وعندما عادت الأختان من الحفلِ، سألتهما سندريلاّ عمّا إذا كانتا قد أمضيَتا وقتاً طيّباً، وإذا كانت الأميرة الجميلة قد حضرت. فقالتا إنّها حَضرت، لكنَّها هربت ما إن دقّت الساعة منتصف الليل؛ هربتْ بمثْل هذه السّرعة بحيث سقط من إحدى قدميها أحدُ خفّيها البلّوريّين، وقد يكون ذلك عن عمد، وإنّ ابنَ الملكِ قد أخذَ الخفّ، وظلّ طيلة الوقت الباقي من الحفل يتأمّله. وأكّدتا أنّ الأميرَ مُدلَّه بعشقِ الحسناءِ صاحبةِ الخفّ البلّوريّ الصّغير.

وقد كانتا محقّتين، فبعدَ أيامٍ قليلة، أعلنَ الأميرُ، عن طريق المنادين، أنّه سيتزوّج الفتاة التي سيلائم قدَمها ذلك الخُفّ. بدأوا بتجريبِ أقدامِ الأميرات، ثمّ النبيلات، ثمّ كلّ فتياتِ البلاط، ولكن بلا فائدة. وأُخذَ الخفّ البلّوريّ للأختين لتجرِّباه، وقد فعلتا ما بوسعهما كي تحشرا قدميهما فيه، ولكن بلا جدوى. وكانت سندريلاّ تشاهدهما، وقد عَرفت خفّها، فقالت لهما ضاحكة:

- لنرَ إذا كان الخفّ سيُناسبني!

ضحكت الأختان ساخرتين منها. أمّا الرّجل المكلّف بتجريب الخفّ على أقدام الفتيات، فقد نظرَ إلى سندريلاّ طويلاً، ووجدَها جميلة للغاية، فقال إنّه قد أُمِرَ بأن يجعل جميعَ الفتيات يُجرّبن ذلك الخفّ. فأجلس سندريلاّ، وقرّبَ الخفّ من قدمِها الصّغيرة، فدخلتْ فيه دون عناء، وجاء ملائماً لها تماماً. وكانت دهشة الشقيقتين كبيرة، لكنّها ازدادت عندما أخرجت سندريلاّ من جيبها الخفّ الآخر، وألبسته قدمَها الأخرى. عندئذٍ ظهرت العرَّابة، وضربت ملابس سندريلاّ بعصاتِها السّحريّة، فاستحالت أجملَ من ملابسِ الأُخريَين.

وهنا عرفَت الشقيقتان في سندريلاّ الأميرةَ الجميلةَ التي قابلتاها في الحفل، فارتمتا على قدمَيها طالبتين الصّفحِ بعد كلّ المعاملةِ السيئةِ التي تكبّدَتها منهما. فأنهضتْهما سندريلاّ، وقبلّتْهما، وقالت إنّها سامحتهما بقلبٍ صافٍ، وناشدَتْهما أن يُحبّاها دائماً. واصطحبوا سندريلاّ في كامل زينتها إلى الأميرِ الشابّ، فألفاها أجمل من المعتاد. وبعد أيّام قليلة تزوّجها.

ولأنّ سندريلاّ، فضلاً عن جمالها، طيّبة القلب، فقد دعتْ أختيها لتعيشا معها في القصر، وزوّجتهما في اليوم نفسه لاثنين من وجهاء البلاط .

**العِبرة**

الجَمالُ للمرأةِ ثروةٌ نادرة

لا نكلُّ من استحسانها ولا نملّ

لكنّ اللّطفَ والكياسةَ هما نِعمتان

أعظمُ قيمةً وأجَلُّ قدْراً.

هذا ما أثبتتْه لسندريلاّ عرّابتُها

إذْ زينتْها وعلّمتْها

حتّى جعلتْ منها ملكة

وهنا يكمن مغزى الحكاية؛

فاللّطفُ والكياسةُ، أيّتها الحسناواتُ، أجدى من المظاهر

لكي تنلنَ الحبَّ وتأسرنَ قلبَ المعشوق،

فهاتان النِّعمتان هُما من عطايا الجنّ الحقيقيّة

بدونهما لا نستطيع شيئاً، وبِهما نقدرُ على كلّ شيء.

**عبرة أخرى**

إنّها لميزةٌ كبرى

أن تكونَ شجاعاً وذكيّاً

آتياً من محتدٍ كريم

وحائزاً على فطرةٍ سليمة

وعلى مزايا أخرى

تحبوكَ بها السّماء

لكنّ تلك الخِصال

لن تجعلكَ ترْقى في الدّنيا

ما لم يصقلْها فيكَ عرّابونَ أو عرّابات.

# ريكيه ذو القُنْزُعة[9]

كان يا ما كان، كان أنّ إحدى الملكات وضعت مولوداً بشعاً قبيحَ المَنظَرِ حتّى لقد تشكّك الجميع طويلاً في كونه من صنفِ البشر. وقالت واحدة من ساحرات الجنّ كانت قد حضرت مولده إنّه سيكون رغمَ ذلك محبوباً لأنّه سيتمتّع بسعةِ العقلِ والذّكاء؛ وأضافت أنّه، بفضلِ الموهبةِ التي منحتها إيّاه للتوّ، سيكون بإمكانه أن يهبَ الذّكاء للشخصيّة التي يحبّها أكثر.

ولقد ساهم ذلك في مواساةِ الملكة بعد خوفها من أن تكون قد جاءت للعالم بمخلوقٍ قبيح. وبالفعل، فما إن بدأ الطّفل بالتكلّم حتّى أخذَ يقول أشياءَ في غايةِ الذّكاء، وكان في كلّ أفعالهِ يتّسمُ بالرّجاحة حتّى فُتِنَ الناسُ به. وقد نسينا أنْ نقولَ إنّه قد وُلِدَ بقُنْزُعة فوق رأسه ممّا جعلهم يُطلقون عليه لقب «ريكيه ذي القُنزعة».

وبعدَ سبعِ سنوات أو ثمانٍ، وضعت الملكة في المملكةِ المجاورةِ بنتين. جاءت الأولى أجمل من النّهار، فسعدت الملكة لذلك كثيراً حتّى أنّهم خافوا عليها من شدّةِ الفرح. وكانت الجنّية ذاتها التي حضرت ميلاد ريكيه ذي القُنزعة حاضرةً، ولكي تخفّف من سعادةِ الملكة قالت لها إنّ ابنتها لن يكونَ لها ذرّة من العقل، وسيكون غباؤها بقدرِ جمالها. وقد أحزن ذلك الملكةَ كثيراً، لكنّها سرعانَ ما سَقَطَت في حزنٍ أعظم، إذ جاءت ابنتها الثانية في غايةِ القبح. فقالت لها الجنّية:

ـ لا تجزعي يا سيّدتي، فابنتك هذه ستكون من الذكاءِ بحيث يطغى ذلك على قبحِها فلا يلحَظَه أحد.

فردّت الملكة:

ـ إن شاء الله؛ ولكن أمَا من سبيلٍ لمنح بعض الذكاءِ للبنت البِكر الشديدة الجمال؟

فأجابت الجنّية:

- لا أستطيع لها شيئاً في ما يخصّ العقل، لكنّي أستطيع في ما يخصّ الجمال. ولأنّي راغبة في فعلِ كلّ ما يسعني فعله من أجلك، فسوف أمنحُها قدرةَ أنْ تَهبَ الجمالَ لمن تريد.

ولمّا كبُرَت الأميرتان، كبرت معهما محاسِنهما. وصار جمالُ الكبرى مَضرَباً للأمثال، وكذلك ذكاء الصّغرى وعقلها. كما نَمَتْ مع الزّمن أيضاً عيوبهما، فازدادت الصّغرى قُبحاً والكبرى غباءً، فهي لا تجيب على أيّ سؤال يوجّه إليها، وإن أجابت نطقتْ بالتُرَّهات. زِدْ على ذلك أنّها كانت عديمةَ المهارةِ، فإذا طُلِبَ منها رصفُ أربعِ قطَعٍ من الخزفِ فوق المدفأة فلا بدّ أن تُحَطِّمَ إحداها، وهي لا تستطيع أنْ تشربَ كوباً من الماءِ دون أن تَسكُبَ نِصفَه على ملابسها.

ومع أنّ الجمالَ امتيازٌ أعظمُ لمن تمتلكه، فقد كانت الصُغرى تتفوّق على الكُبرى في كلِّ التجمّعات. ففي البدايةِ يتوجّه الناس ناحيةَ الجميلةِ لمشاهدتها، وإبداء إعجابِهم بها، ولكنْ سرعان ما يلتفتون ناحيةَ صاحبةِ الذّكاءِ ليسمعوا أحاديثها الشيّقة. وكان من المثيرِ للدّهشةِ أن ترى انفضاضَ الجمعِ من حولِ الجميلةِ في أقلّ من رُبع ساعة، ليلتفّ حول الصّغرى. وقد لاحظت الأخت الكبرى ذلك بالرّغم من غبائِها الشديد، وكانت على استعداد لأن تتنازل عن كلّ جمالِها مقابل الحصول على نصفِ العقل الذي تتمتّع به شقيقتها. ولم تستطع الملكة، رغمَ حكمتها المشهودة، أن تمنع نفسها من لوم ابنتها غير مرّةٍ على غبائها، وهو ما كاد يُميت هذه الأميرة المسكينة ألماً.

وذاتَ يومٍ انتحت الفتاة ركناً في إحدى الغابات تنعي حظَّها، وإذا بها ترى شابّاً شديد القُبحِ والدّمامةِ لكنّه يرتدي ملابس شديدة الأناقة قادماً نحوها. ولم يكن سوى الأمير الشابّ ريكيه ذي القُنزُعة، الذي كان قد وقَعَ في غرامِها عن طريق صُوَرِها التي انتشرت في العالمِ كلّه، فغادر مملكةَ أبيه ليحظى برؤيتها ومحادثتها. وقد أسعده مرآها بمفردها، فاقتَرَبَ منها بكلّ احترام وتأدّب مُمكنين. ولاحظ بعد أن حيّاها بالمجاملات التقليديّة أنّها كانت في غاية الأسى، فقالَ لها:

- لا أفهم يا آنستي كيف لشخصٍ في مثْل جمالكِ أن يكونَ حزيناً كلّ هذا الحزن. فمهما تباهيتُ بكثرةِ ما رأيتُ من صنوف الجمال، فأنا لم أرَ قطّ امرأةً بمثلِ جمالِك.

فاكتفت الأميرة بالقول:

- هذا من رهافةِ ذوقِكَ يا سيّدي.

فأكمل ريكيه ذو الخصلة:

- الجمال ميزة عظيمة، وهو يفوق أيّ ميزة أُخرى، ومن مَلَكَهُ ينبغي ألاّ يجزعَ لأيّ سببٍ كان.

قالت الأميرة:

- كنتُ أفضّل أن أكونَ قبيحةً مثلك، وأملكَ بعضَ العقلِ على أن أكونَ جميلةً وغبيّة كما أنا عليه.

فقال ريكيه ذو القُنزُعة:

- إنّ الاحساسَ بافتقادِ الذكاء لهو أكبر دليل على الذّكاءِ نفسه، فمن طبيعةِ العقل أنّه كلّما كبرَ لدينا خامرَنا الانطباعُ بأنّه لا يزال ينقُصُنا منه الكثير.

فقالت الأميرة:

- لا أعرف هذا، ولكنّ ما أعرفه هو أنّني شديدة الغباء، ومن هنا يأتي الحزن الذي يقتلني.

ردّ ريكيه:

- لو كان هذا هو ما يُحزِنُك فبإمكاني، وبكلّ سُرور، أن أضعَ حدّاً لتعاستك.

فسألت الأميرة:

- وكيفَ لك هذا؟

قال ريكيه:

- لديّ يا آنستي القدرة على أن أمنحَ العقلَ للشّخص الذي أُحبّه أكثرَ من أيِّ شخص سواه، ولما كُنتِ أنتِ هذا الشّخص، فبإمكاني أن أمنحَك من الذّكاءِ بقدرِ ما لديَّ منه، لكنّ ذلك يتوقّف على رغبتك في الزّواجِ مني.

بقيت الأميرة صامتةً ولم تَنبِس ببنتِ شفة. فقال لها ريكيه:

- أرى أنّ هذا الاقتراح لا يروق لك؛ وذلك لا يدهشني؛ ولكنّي أدَعُ لكِ سنة كاملة لتتّخذي قراركِ بهذا الشأن.

كان للأميرة عقلٌ صغيرٌ حقّاً، ورغبةٌ كبيرةٌ في الحصول على المزيد من الذّكاء، فهيّأ لها ذكاؤها المحدود أنّ نهاية هذا العام لن تأتيَ أبداً، فقبلت العرضَ المقدّم إليها؛ وما إن وعَدَت ريكيه ذا القُنزُعة بأن تتزوّجَه في مثلِ ذلك اليوم من العام المقبل حتّى شَعرَت بنفسِها وقد صارت مختلفةً عن ذي قبل؛ صارت تجد بسهولةٍ كلّ ما ترغب في قوله، لا بل تقوله بأسلوب رفيعٍ ومطبوع. وقد بدأت في تلك اللّحظة تتجاذب مع ريكيه أطرافَ حديثٍ جزلٍ ورقيقٍ، أظهرت فيه ذكاءً غير عاديّ، ممّا جعل ريكيه يظنّ أنّه أعطاها من العقل أكثرَ ممّا احتفظ به لنفسه.

وعندما عادت إلى القصر، لاحظَ كلّ مَن في البلاط أنّ تغيراً مُفاجئاً وخارقاً للعادة قد طرأ عليها، فطوال الوقت كانوا يسمعونها تتفوّه بالحماقات، وها هي ذي الآن لا تنطق سوى بكلماتٍ منتقاةٍ بعناية، وفي منتهى الذّكاء. وعمَّ بين أفرادِ البلاط فرحٌ غامرٌ، ولم يُستثنَ من ذلك سوى شقيقتها الصّغرى التي لم تُسَرّ بما حدثَ، لأنّها لم تعد متفوّقةً على أختها بميزةِ الذكاء، ولا تبدو بجانبها إلاّ كمثْلِ قردٍ قبيح.

وصار الملك يسترشد بآرائها، حتّى أنّه كان يذهب لحجرتِها أحياناً ليستشيرها في بعض الأمور. وقد طارت الأخبار حولَ التغيّر الذي أصابها، حتّى بلغت مسامعَ الأُمرَاء الفتيان في الممالكِ المجاورة، فبذلوا قصارى جُهودهم ليفوزوا بودِّها، وطلبها معظمُهم للزواج، لكنّها لم تجد لدى أيٍّ منهم ما يكفي من الذّكاء، واستمعت إليهم جميعاً دون أن تعاهد أيّاً منهم على الارتباط به. إلى أن تقدّم إليها أحدهم وكان ذا بأسٍ وثراءٍ، ذكيّاً ووسيماً بالقدر نفسه، فلم تستطع مقاومة الشّعور بالانجذاب إليه. وعندما لاحظَ أبوها الملك ذلك، قال لها إنّه سيجعلها سيّدةَ قرارِها في مسألة اختيار الزوج، وليس عليها سوى الإفصاح عن مشاعرها. ولما كانت شدّة الذكاء تَزيد أحياناً من صعوبةِ اتخاذ القرار الحاسم في أمرٍ كهذا، فقد طَلَبَت من أبيها، بعد أن شكرَته، أن يُمهلها بعضَ الوقتِ لتُفكّر.

وحتّى تستطيعَ التفكيرَ بهدوءٍ في ما هي فاعلةٌ، ذهبت لتتريّضَ، ويا للمصادفة!، في الغابة نفسها التي كانت قد قابلت بها ريكيه ذا القُنزُعة. وبَينا هي تسيرُ مستغرقةً في التفكير، سمعت جلبة

شديدة تحتَ قدميها، كما لو كان عدد من الرجالِ يروحون ويجيئون في حالةٍ من النشاط، فأصاخت السّمع بانتباه فسمعت أحدَهم يقول: «أعطني هذه القدْرَ» وآخر يقول «أعطني هذا المرْجلَ» وثالثاً يقول «ضَع بعضَ الحطبِ في النارِ ههنا». ثمّ انشقّت فجأةً الأرض تحتَ قدميها، فرأت ما يُشبِه مطبخاً كبيراً مليئاً بالطهاة وكلِّ أنواع الخَدَمِ والحشَم والعمّالِ اللاّزمين لإقامة مأدبةٍ هائلة. ثمّ خرج من هناك حوالى عشرين أو ثلاثين طاهياً يحملون سفّود الشّواء، ويعتمرون قلنسوات طريفة الأشكال تنتهي بما يشبه ذيلاً متدلّياً، وقد توجّهوا نحو مائدة هائلة تتوسّط أحد ممرّات الغابة، وأخذوا في العمل على إيقاع أغنية متناغمة.

اندهشت الأميرة لمرأى هذا المشهد وسألتهم لحسابِ مَن يعملون، فقال لها كبيرهم:

- هذا من أجلِ عُرس الأميرِ ريكيه ذي القُنزُعة الذي سيُقام غداً.

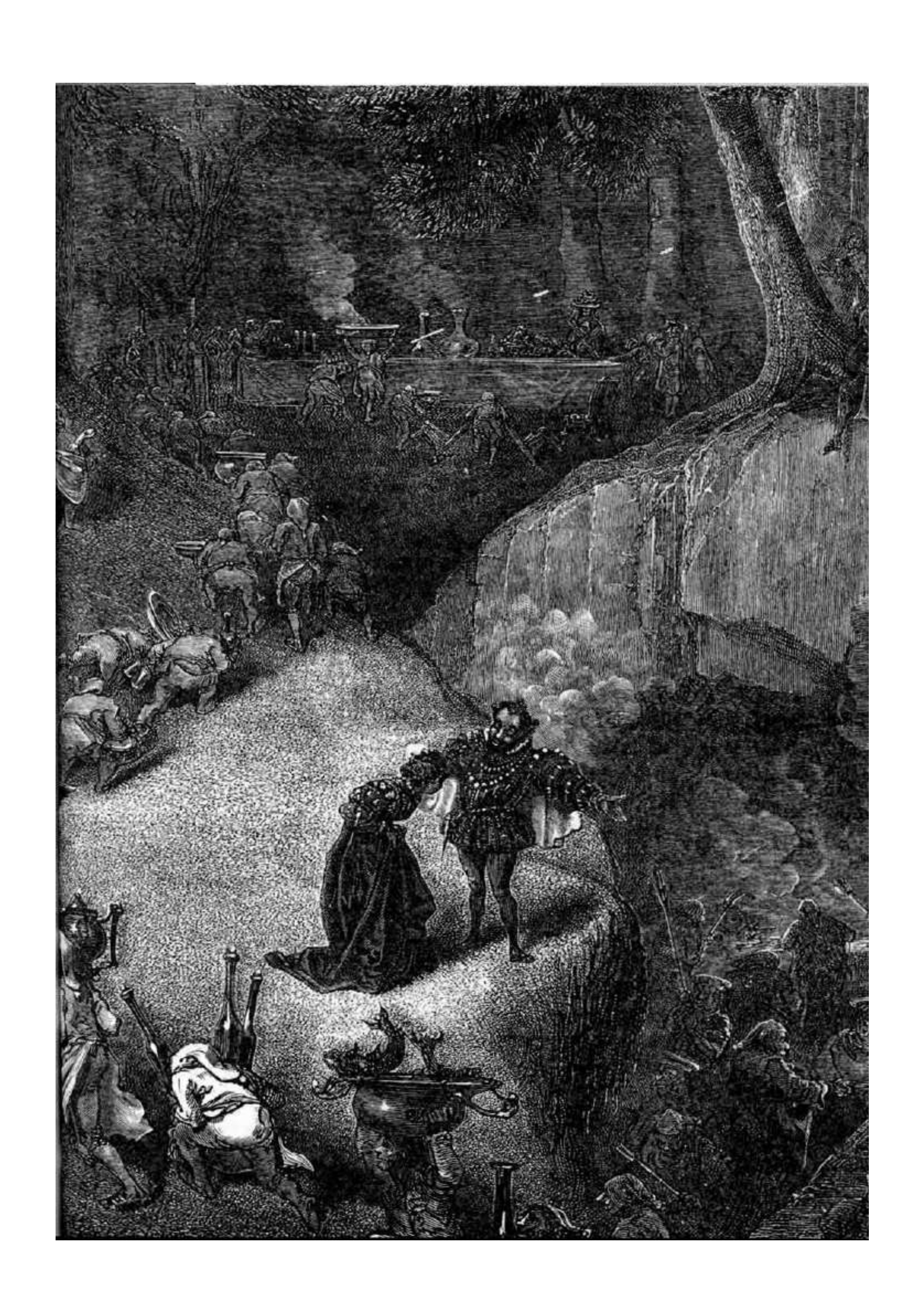
فازدادت دهشة الأميرة، وتذكّرت فجأةً أنّ عاماً قد مرَّ على اليوم الذي وعدت فيه ريكيه ذا القُنزُعة بالزّواج منه؛ فشعرت أنّها تسقط من علٍ. وما جعلها تنسى هو أنّها كانت قد قطعت على نفسها ذلك الوعد حين كانت لا تزال غبيّةً، وعندما وهبها الأمير الذكاءَ تناست كلّ حماقاتها السّابقة.

وما إن همَّت بمواصلةِ مسيرتها في الغابةِ حتّى ظهَرَ أمامَها ريكيه ذو القُنزُعة في كاملِ أُبَّهتِهِ كأميرٍ مقبلٍ على الزواج، وقال لها:

- ها أنت ترينني قد وفيتُ بكلمتي، ولا أشك أنّك أيضاً قد جئتِ إلى هنا لتبرّي بوعدك.

قالت الأميرة:

- أعترف لك بكلّ صراحة أنّي لم أحسم قراري بَعد بشأنِ ذلك الموضوع، وأخشى أنّي لن أستطيعَ أبداً أن أحسمه بالشّكل



الذي تتمنّاه.

فردَّ ريكيه:

- كم أنا مندهشٌ يا آنستي!

فقالت له الأميرة:

- أعتقد أنّني لو كنتُ قدّمت وعدي لرجلٍ فظٍّ منعدم الذكاء لكنتُ وقعتُ في حرجٍ شديدٍ، ولكان قال لي إنّي كأميرة لا بدّ أن أحترِمَ كلمتي، وإنّه لزامٌ عليّ أنْ أتزوّجَه ما دمتُ قد وعدتُه بذلك. ولكنْ لمّا كان مَن وعدتُه أذكى الرّجالِ قاطبةً، فأنا واثقةٌ من إنّه سيفهمني. أنت تعرفُ أنّي يومَ كنت حمقاء لم أستطع أن أتخذَ قراراً بشأن زواجي منك، فكيف تريد منّي، بعد كلّ الذكاء الذي منحتَني إياه، والذي يجعلني اكثر تطلّباً إزاء الآخرين، أن أتّخذَ مثلَ هذا القرار؟ لو كنتَ قد فكّرتَ جديّاً في الزواجِ منّي، كان حريّاً بك ألاّ تمحو غبائي، وألاّ تجعلني أرى الأمورَ بوضوح أكثرَ من ذي قبل.

فردّ عليها ريكيه ذو القُنزُعة قائلاً:

- إذا كان رجل بلا عقلٍ سيكون محقّاً في لومك لعدم احترامكِ كلمتك، فلماذا تريدين يا آنستي ألاّ أتقدّم لك باللّوم نفسه وهو أمرٌ يتعلّق بكاملِ سعادتي في الحياة؟ أيُعقَل أن يكونَ الأشخاص من أصحاب الذّكاء في وضعٍ أسوأ من المحرومين منه؟ هل تستطيعين الزّعمَ بذلك، أنتِ التي لطالما عانيتِ من افتقاد الذّكاءِ ولطالما تمنّيتِ أن تحصلي عليه؟ لكنْ لنأتِ إلى موضوعنا، فبغضّ النظر عن دمامتي، هل فيَّ شيءٌ آخر لا يُعجِبُك؟ أأنتِ غير راضيةٍ عن حسبي ونسبي؟ أو عن ذكائي؟ أو عن طباعي؟ أو عن أخلاقي؟

فردّت الأميرة:

- كلاّ! فأنا أحبّ فيك كلّ هذه الأشياءِ التي ذكرتَها.

فقال لها ريكيه:

- إذا كان الأمرُ كذلك، فسوفَ أكون سعيداً، لأنّك ستستطيعين أن تجعليني أكثرَ الرّجالِ وسامةً.

فسالتهُ الأميرة:

- وكيف ذلك؟

قال ريكيه:

- إذا أحببتِني بالقدرِ الكافي لأن تتمنّي ذلك. وأحبّ أن أخبرَك بأنّ الجنّية التي وهبتْني يومَ ميلادي القدرةَ على منح الذّكاءِ للفتاة التي تُعجبني، وهبتْكِ أنتِ القدرةَ على جعلِ من تُحبّينه ومن ترغبين في إسداء هذا الصنيع له رجلاً وسيماً.

فقالت الأميرة:

- إذا كان الأمر كذلك، فأنا أتمنّى من كلّ قلبي أن تصيرَ أوسمَ أميرٍ في العالم، ولسوف أمنحكَ هذه القدرةَ بقدر ما أنا أتمتّع بِها.

ما كادت الأميرة تتفوّه بهذه الكلمات حتّى بدا ريكيه ذو القُنزُعة لعينيها كأجملِ رجالِ العالَم، وأكثرهم وسامةً ولطفاً. ويؤكّد البعض أنّ ذلك لم يكن بفعل سِحر الجنّية، لكنّ الحبّ وحده هو ما سبّبَ ذلك التحوّل. قيل إنّ الأميرة عندما فكّرت بقوّةِ إرادةِ محبوبها، وبحصافتِه وكلّ خصال روحِه وعقلِه الطيّبةِ، لم تعد ترى عيوبَ جسدهِ ولا دمامةَ وجهه. بدا لها ظهرُه الأحدب كمثْلِ ظَهرِ رجلٍ يتخايلُ بإبرازِ عضلاتِ ظهره، وعرَجُه في السّير الذي كانت هي تراه مخيفاً بدا لها لا أكثرَ من مَيَلانٍ محبّبٍ إلى النّفس. قيل أيضاً إنّ حَوَل عينيه تراءى لعينيها نوعاً من البريق الرّائع، وإنّ زيغَهما لاحَ لها كواحدة من علامات التدلّهِ في العشق؛ لا بل حتّى أنفه الأحمر بدا لها كواحدة من علاماتِ الشّجاعةِ والبطولة.

وأيّاً كان الأمر، فقد وعدته الأميرة في الحال بالزّواج، شريطةَ أن تحصلَ على مباركة أبيها الملك. وعندما عرف والدها أنّ ابنته ميّالة للأمير ريكيه ذي القُنزُعة، وافق على مصاهرته على الفور؛ لأنّه كان يعرفه أميراً واسع العقل وشديدَ الذّكاء. ومن اليوم التالي، أُقيمت الأعراس كما خطّط لها الأمير ريكيه، ووفقاً للأوامر التي كان قد وجّهها منذ فترةٍ طويلة.

**العِبرة**

ما نراه في هذه الكلمات

ليس مجرّدَ حكاية

بل هو الحقيقةُ بعينِها؛

كلّ شيءٍ جميلٌ في مَن نحبّ

وكلّ مَن نحبّ متوقّدُ الذّكاء.

**عبرة أخرى**

مهما حَبَتِ الطبيعة معشوقاً

بملامحَ جميلة

وبألوانٍ يعجزُ عن تجسيدِها الفنّ

فكلّ تلك العطايا لا تستطيع

أن تجعلَ قلباً يهيمُ به حبّاً

مثلما يستطيعه السِّحرُ الخافي

الذي يجعلنا الحبُّ نلمحُه فيه.

# أُصَيبِع[10]

كان يا ما كان، كان هناك حطّابٌ وزوجته، لهما سبعة أبناء كلّهم من البنين. أكبرُ الأبناءِ كان في العاشرة من عمره، فيما كان الأصغر في السّابعة. وقد يندهش البعض من أن الحطّاب قد أنجَب أبناءَه كلّهم في هذه الفترةِ القصيرة، لكنّ امرأته كانت ولوداً ولا تضع في الولادة الواحدة أقلّ من اثنين. وكان الزّوجان فقيرين للغاية، فبقي أبناؤهما السّبعة عبئاً ثقيلاً عليهما، إذ كانوا صِغاراً عاجزين عن كسبِ قوْتهم بأنفسهم.

وما كان يضاعف بؤس الزوجين أنّ الابن الأصغر كان مُفرط الضّعف، ولا يتكلّم أبداً. وقد عدّا بلاهةً ما كان بالعكس من علاماتِ ذكاءِ روحه. كما كان ذلك الولد صغيرَ الجثّة بشكلٍ ملحوظٍ، فقد ولدَ بطولِ الإبهام، مما جَعَلَهم يدْعونه «أُصَيبِع».

وكان هذا الولد المسكين كبش الفداء لكلّ من في المنزل، فهم دائماً ما كانوا يعدّونه على خطأ. لكنّه كان أكثر الأبناء فطنةً وذكاءً؛ وكان قليلَ الكلامِ لأنّه أكثر إنصاتاً للآخرين.

ثمّ أقبل عليهم عامٌ رهيبٌ عانوا فيه من الجوع ما جَعَل الزّوجين الفقيرين يقرّران التخلصَ من أبنائهما. وذاتَ يومٍ، والأبناء نيامٌ، قال الحطّاب لزوجته بقلبٍ يعتصره الألم وهما جالسان بجوار النار:

- ها أنت ترين، نحن لم نعُد قادرَين على إطعامِ أطفالَنا. وأنا لن أحتملَ رؤيتهم يموتون من الجوعِ أمامَ عينيّ، وقد قرّرتُ أن أجعلهم يضيعون غداً في الغابة، وهو أمرٌ يسيرٌ، فبَينا هم يمرحون ويجمعون الأحطابَ، نقوم أنا وأنتِ بالفرار دون أن يشعروا.

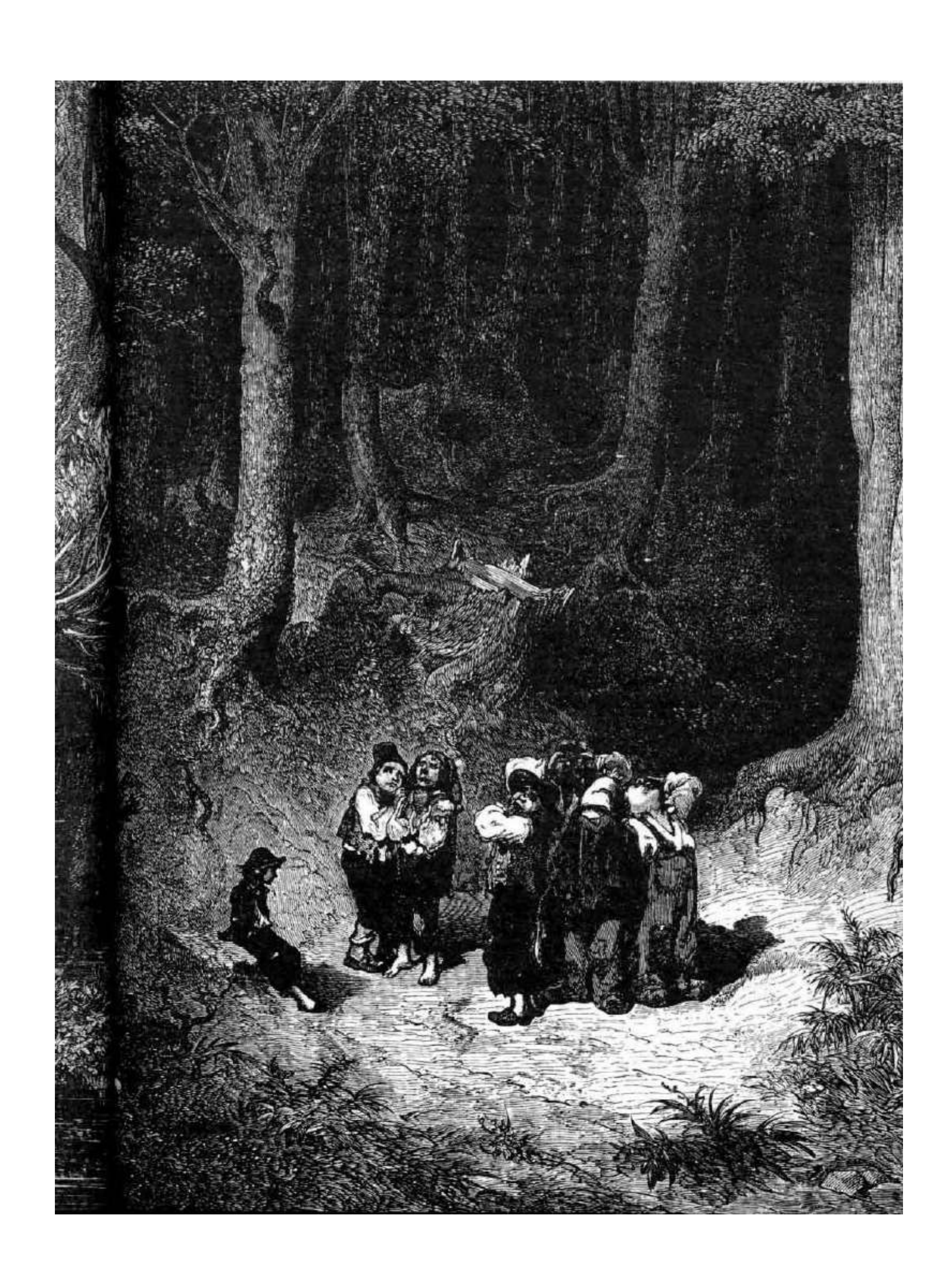
فصرخت الحطّابة:

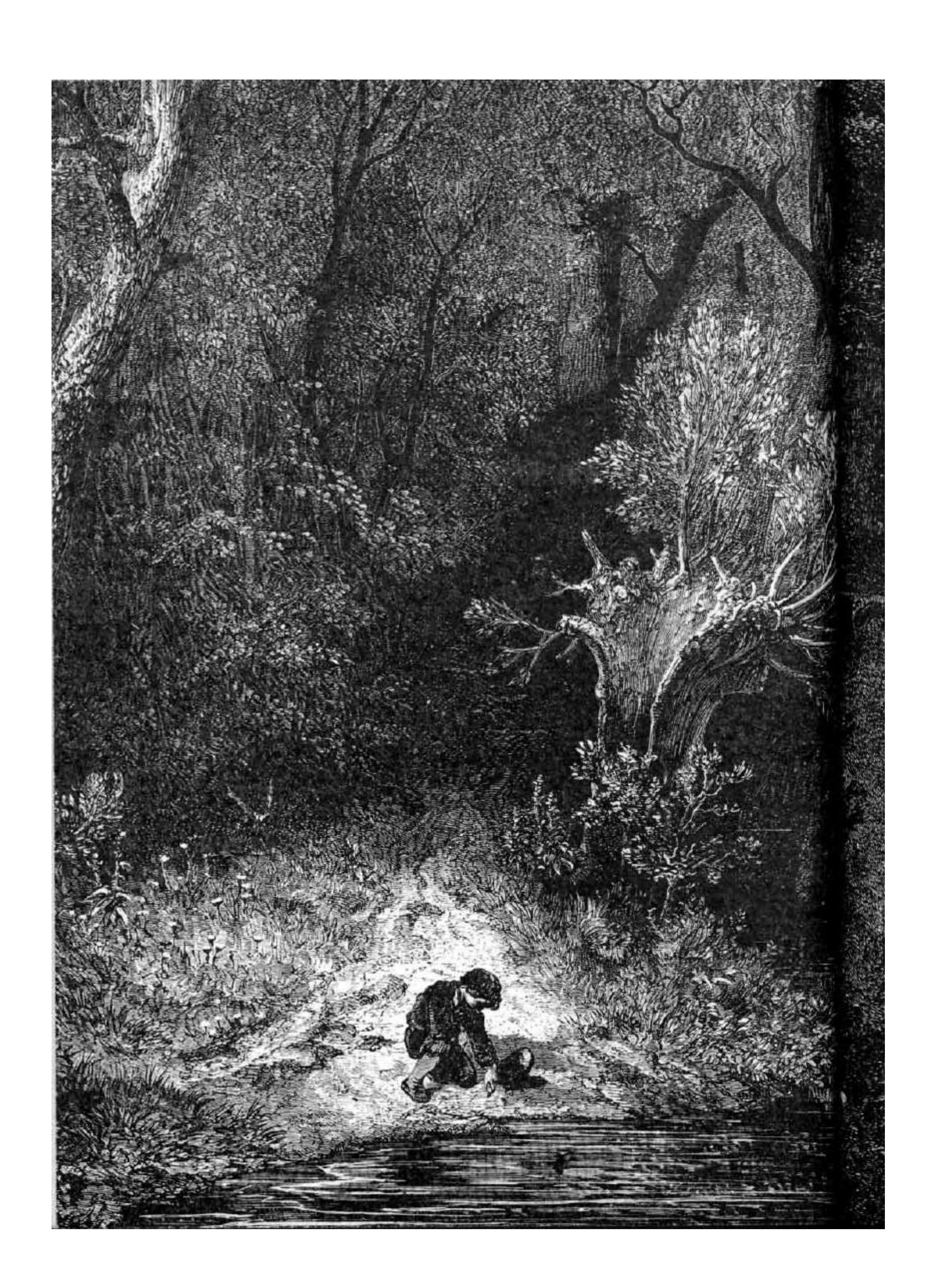
ـ أوّاه! أتقدرُ أنت أن تُضيّعَ أطفالَك بنفسك؟

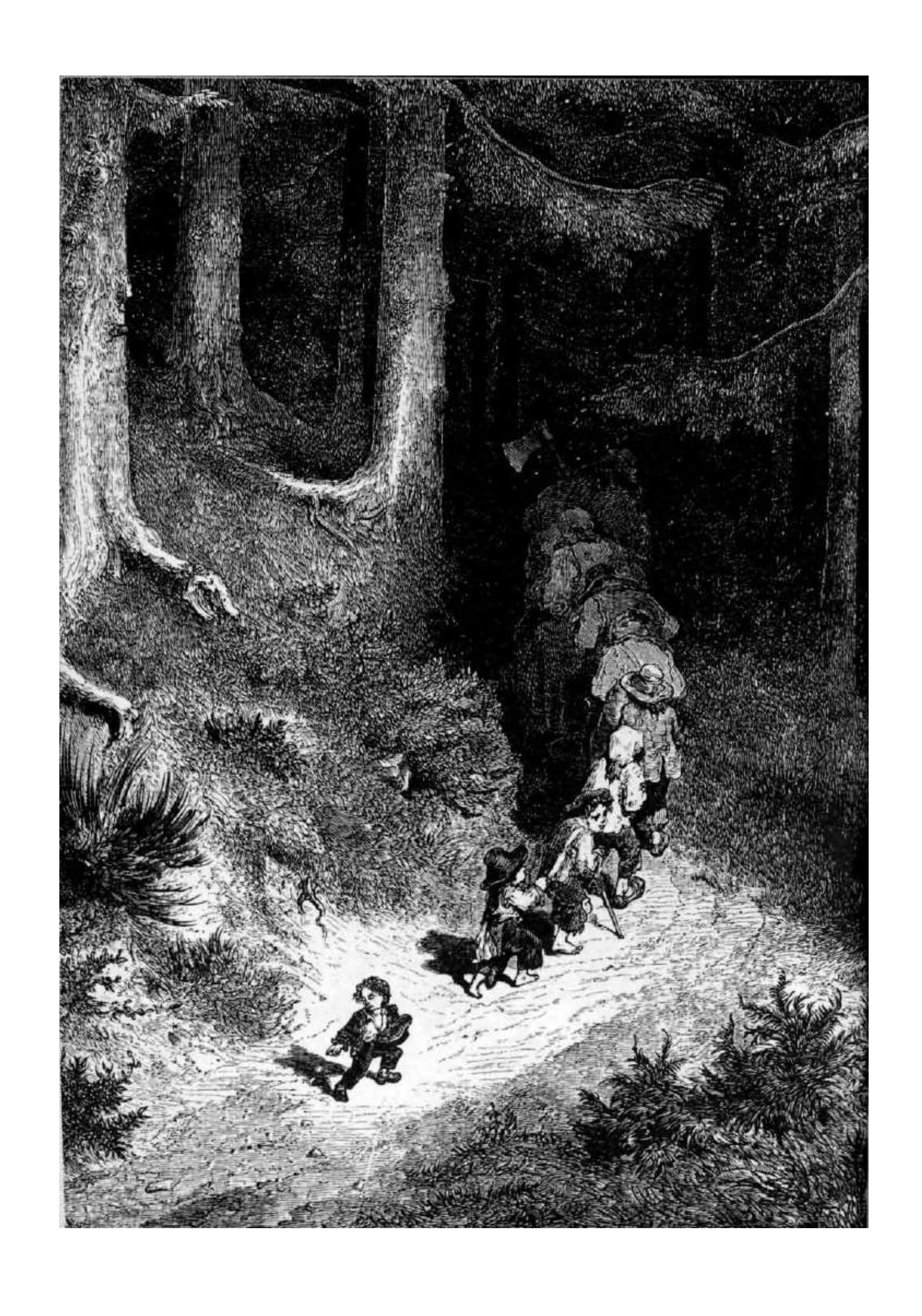
فقام الزوج يذكّرهما بفقرهما المدقع، ولم توافقه زوجتُه الرأيَ. لقد كانت معوزةً حقاً، لكنها كانت أمّهم. ولكن عندما تخيّلت ألمها عندما تراهم يموتون من الجوع أمام عينيها عادت واقتنعت بفكرته، وذهبت للنوم باكية.

كان أُصَيبِع قد أنصت لكلّ ما قاله أبواه. فعندما سمعَهما وهو في فراشه يدبّران أمراً، قام بهدوءٍ واختبأ تحتَ مقعد أبيه ليُنصت لكلامهما دون أن يُرى. ثمّ ذهب لفراشه وظلّ يقظاً ما تبقّى من الليل، يفكّر في ما ينبغي عليه أن يفعله. وقام في الصّباحِ الباكر،









وذهبَ إلى جرف أحدِ الجداول وملأ جيوبه بالحصى الأبيض الصّغير، ثمّ عاد إلى البيت لينطلقوا جميعاً خارجين، ولم يفصح أُصَيبِع لإخوته عن شيءٍ ممّا يعرفه.

وذهبوا إلى غابة كثيفة الأدغال، تنعدم فيها الرؤية على مبعدة عشر خطوات، وأخذ الحطّاب يقطع الأخشاب فيما الأطفال يجمعون العيدان ليحزموها معاً. وعندما لاحظَهم الأبُ والأمّ منهمكين في العمل، انسحبا مبتعدَين عنهم، وفرّا هاربين عبر طريقٍ جانبيّة.

وعندما تبيّن للأطفال أنّهم بمفردهم في الغابة، أخذوا بالبكاءِ والصراخ بكلّ قوّتهم؛ إلاّ أُصَيبِع، فقد كان يعرف طريقَ العودةِ إلى المنزل، لأنّه كان قد تركَ الحصى الأبيض الذي يحتفظ به في جيوبه يتساقط منها طوال الطريق أثناء قدومهم إلى الغابة، وقال لهم:

- لا تجزعوا يا إخوتي؛ لقد تَرَكَنا والدانا هنا، لكنّي سأعود بكم إلى المنزل، وما عليكم إلاّ أن تتبعوني...

فتبعوه حتّى قادهم إلى البيتِ عبرَ الطّريق ذاتها التي جاءوا منها إلى الغابة. ولم يجرؤوا على الدّخول، بل وقفوا عند الباب يتنصّتون لما يقوله الأب والأمّ في الدّاخل.

في اللّحظة التي كان الحطّاب والحطّابة قد وصلا فيها إلى المنزل، أرسل لهما عمدة القرية عشرة ريالات كانت مستحقّة لهما منذ فترة طويلة، وكانا قد يئسا من الحصول عليها. فبعث فيهما ذلك الحياةَ لأنّهما كانا يتضوَّران جوعاً. فأرسل الحطّاب زوجته في الحال إلى دكان القصّاب. ولمّا كانا لم يأكلا شيئاً منذ وقتٍ طويل، فقد اشترت من اللّحم ثلاثةَ أضعافِ ما كان يلزم لعشاءِ شخصين. وعندما أكلا وشبِعا، قالت الحطّابة:

- يا للحسرة، أين أولادي المساكين الآن؟ لو كانوا هنا لاستلذّوا ببقيّة طعامنا هذه! لكنّك أنت يا زوجي من رغبَ في إضاعتهم، وقد قلتُ لك إنّنا سنندم على ذلك. ترى ماذا يفعلون الآن في تلك الغابة؟ لا بدّ أنّ الذئبَ قد التهمهم الآن. أنتَ مجرّد من الانسانية إذ تضيع أولادك هكذا.

عيلَ صبرُ الحطّاب في نهاية المطاف، لأنّ زوجته راحت تقول وتعيد القول إنّهما سيندمان. فهدّد بضربها إن لم تصمت. ولا يعني هذا أنّ الحطّاب لم يكن حزيناً مثلها، وربّما أكثر، لكنّها كانت قد أزعجته بإلحاحِها. وكان الحطّاب، مثله مثل رجال كثيرين، يحبّ المرأة ذات الكلام العذب، ويُلفي المرأة الملحاح مزعجةً جدّاً.

كانت الحطّابة تنتحب وتقول:

- يا حسرتي! أين أبنائي الآن، أبنائي المساكين؟

وفي إحدى المرّات، صرخَت بقوة حتّى سمِعَها الأولاد من موقعهم خارج الباب، فهتفوا في صوتٍ واحد:

- ها نحن، ها نحن!

فركضت لتفتحَ لهم البابَ، وقالت وهي تُعانقهم:

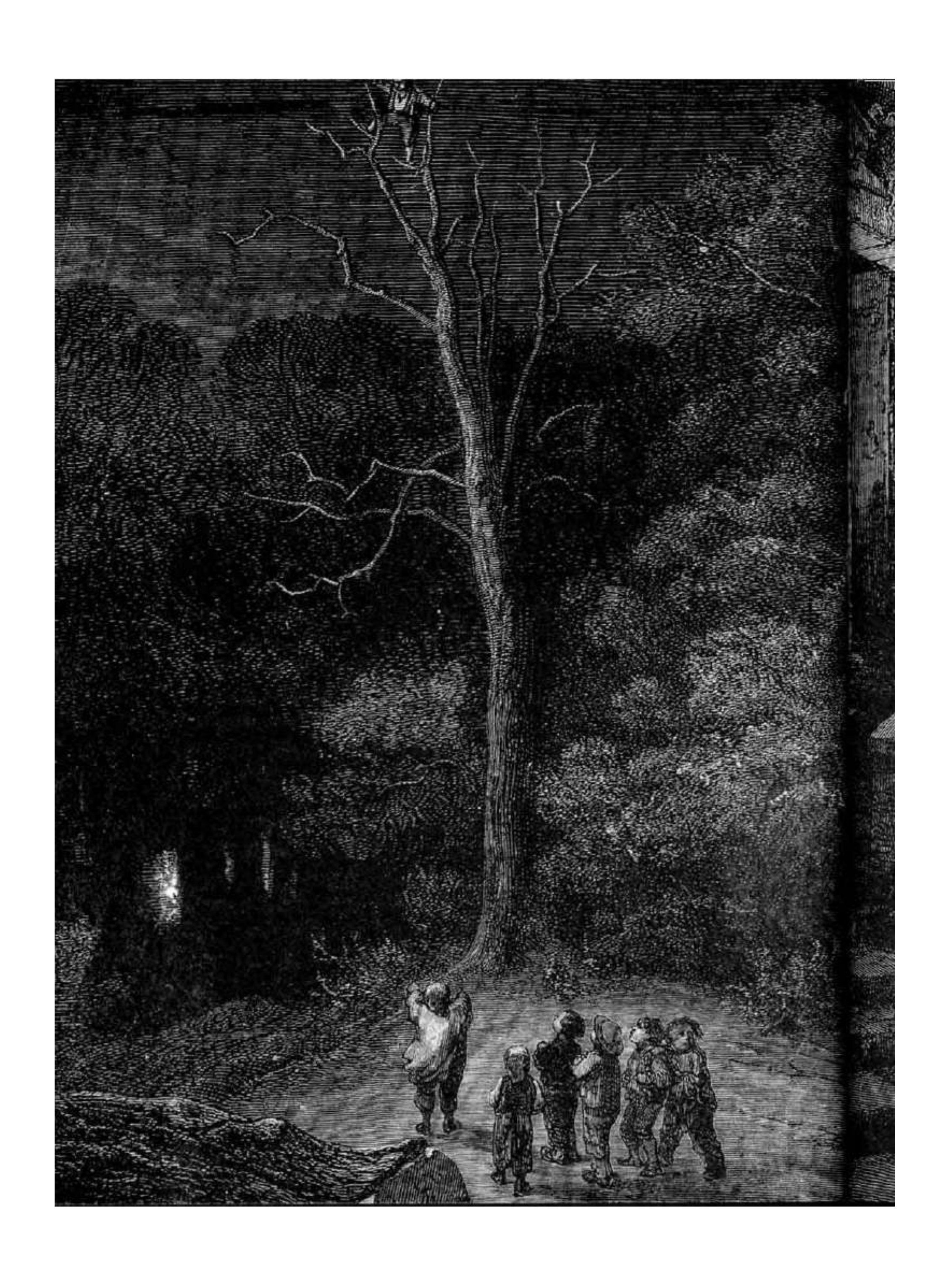
- كم أنا مسرورة برؤيتكم مرّةً ثانيةً يا أبنائي الأعزّاء، ها أنتم هنا، ولا بدّ أنكم جائعون بشدّة؛ وأنت يا «بيارو» يا صغيري كم تبدو موحلاً، تعال لأنظّفك.

كان «بيارو» هو ابنها البِكر والمفضّل لديها، لأنّه كان أصهب قليلاً وكذلك هي كانت صهباء بعض الشيء.

وجلسوا إلى المائدة، وتناولوا الطعامَ بشهيّة، وأخذوا يحكون عن معاناتهم وخوفهم في الغابة، وكانوا جميعاً يتكلّمون في الوقت نفسه. وكان الأبوان الطيّبان فرحين برؤية أبنائهما بينهما مرّةً أخرى. لكنّ ذلك الفرح استمرّ حتّى نفدت الرّيالات العشرة، وما إن أُنفقت النقود حتّى سقطا في اكتئابهما القديم ذاته، وقرّرا إضاعة الأطفالِ مرّةً أخرى. وحتّى لا تفشل المحاولة قرّرا أخذهم إلى مكانٍ أبعدَ من مكان المرّة الماضية.

لم يستطيعا أن يتحدّثا عن الموضوع سوى بالهمس، مع ذلك فقد سمِعَهما أُصَيبِع، وأعدّ عُدّته للخروجِ من المأزَق كما فعل من قبل؛ لكنّه عندما استيقظ مبكّراً لجمع الحصى، لم يستطع الخروجَ لأنّه وجد باب البيت مغلقاً بالمفتاح. لكنّه عرف كيف يتدبّر أمرَه،





فعندما أعطى أبوهم كلّ واحدٍ منهم قطعةً من الخبزِ للغداء، فكّرَ في استخدام نصيبه من الخبزِ بدلاً من الحصى، بتفتيته وإلقاء الفتات على طول الطريق الذي يسلكونه. فاحتفظَ بقطعة الخبزِ في جيبه.

وأخذهم الأبوان إلى منطقة من الغابة كثيفةِ الأدغال معتمة، ثمّ انتهجا طريقاً منزويةً دون أن يراهم الصّغار، وتركوهم هناك. لم يحزن أُصَيبِع كثيراً، لأنّه اعتقد أنّه سيعثر على طريقه بسهولة معتمداً على فتات الخبز التي تركها في كلّ المناطق التي مرّوا بها. لكنّه فوجئ بغيابِ فتاتِ الخبز، إذ كانت الطيور قد جاءَت عليه وأكلتْه كلّه.

وها أنّهم في ذروة الخوف، فكلما تقدّموا في السّير ضاعوا متوغّلين في الغابة. وهبط اللّيل عليهم، وهبّت عاصفة أثارت فزعهم. وظنّوا أنّهم يسمعون ذئاباً تعوي في طريقها إليهم من كلّ الجهات لتلتهمهم. وكانوا لا يجرؤون حتّى على الكلام أو الالتفات. ثمّ هطلت أمطار غزيرة اخترقتهم حتّى العظام، وصاروا ينزلقون لدى كلّ خطوة يخطونها فيسقطون في الأوحال، وتتلطّخ أجسادهم.

تسلّقَ أُصَيبِع شجرةً حتّى قمّتِها ليستطلعَ المكانَ بحثاً عن أيّ شيء. وبتلفّته في كلّ الاتجاهات رأى على البُعد بصيصَ ضوءٍ خافتٍ كما لو كان صادراً عن شمعة، لكنّه كان بعيداً جدّاً خارج الغابة. هبطَ من الشّجرةِ، وعندما بلغَ الأرضَ لم يعد يرى شيئاً، فأخافه ذلك، ولكنْ عندما سارَ مع إخوته لبعضِ الوقت في الاتّجاه الذي رأى فيه الضوء، عثَروا على مصدره فخرجوا من الغابة.

في نهاية المطاف وصلوا إلى البيت الذي كانت فيه تلك الشّمعة، بعد رحلة مجلّلة بالخوف. فقد كانوا يفقدون أثر الضّوء أثناء سيرهم حين تهبط بهم الطريق في منخفضاتها. طرقوا على الباب، ففتَحَتْ لهم البابَ امرأةٌ عجوزٌ، وسألتهم عمّا يريدون؛ قال لها أُصَيبِع إنّهم أولاد فقراء ضلّوا طريقَهم في الغابة، وإنّهم يبحثون عمّن يُحسن إليهم ويأويهم تلكَ الليلة. ولمّا رأتهم السّيدة أطفالاً جميلين، انهمرت في البكاءِ وقالت لهم:

- وا أسفاه يا أبنائي. ألا تعرفون أين أنتم؟ ألا تعرفون أنّ هذا بيت غولٍ ممّن يأكلون الأطفالَ الصغار؟

كان أُصَيبِع يرتعد بشدّة هو وإخوته، وقال لها:

- ذلك مؤسف يا سيّدتي. لكن ماذا نفعل؟ إذا لم تأوينا هذه الليلة فأكيدٌ أنّنا ستلتهمنا ذئاب الغابة، ونحن نفضّل في هذه الحالة أن يكون زوجكِ الغول هو من يأكلنا. قد يُرفق بنا إذا ما التمستِ أنتِ منه ذلك.



ظنّت زوجة الغول أنّ بإمكانها أن تخبّئهم عن عينَي زوجها حتّى الصّباح التالي. فسمحت لهم بالدّخول، وأجلستهم يتدفّأون بجوارٍ نارٍ مشتعلة كانت تشوي عليها خروفاً بكامله لعشاءِ زوجها. وما إن بدأ الدفء يتسرّب إليهم حتّى سمعوا ثلاث طرقات عنيفة أو أربعاً على الباب؛ إنّه الغول قد عاد. خبّأتهم السيّدة فوراً تحت السّرير، وذهبت لتفتح الباب. سأل الغول في البداية إن كان عشاؤه جاهزاً،

وإن كانت قد أعدّت له بعض الشّراب. وجلس إلى المائدةِ رأساً. كان الخروف ما يزال نيّئاً، ولكنّه كان يفضّله كذلك. تشمّم الغول الأجواء يمنةً ويسرةً، وقال إنّه يشمّ رائحةَ اللّحم الحيّ. قالت له زوجته:

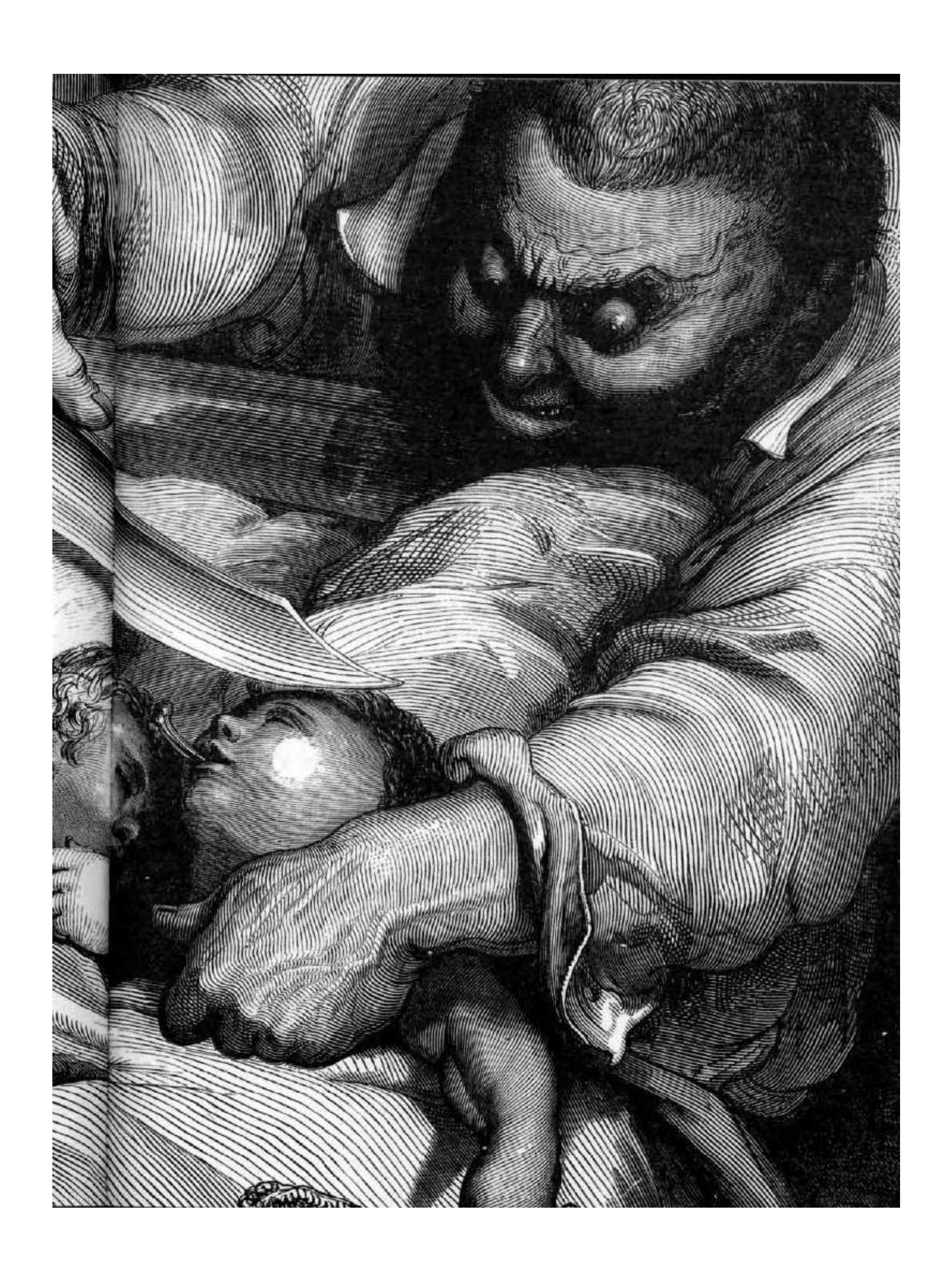
- لا بدّ أنّها رائحة العِجلِ الذي أعددتُه للطهو.

ردّ الغول:

- أقول لك إنّني أشمّ رائحةَ لحمٍ حيٍّ، يوجد شيءٌ هنا لا أفهمه.

وقام من الطاولة وهو ينطق بهذه الكلمات، وتوجه مباشرةً نحو السّرير وقال لزوجته وهو ينظر لها شزراً:

- آه، هكذا كنت تريدين خداعي أيّتها المرأة الملعونة. لا أعرف ما الذي يمنعني من التهامك أنتِ أيضاً سوى كونك عجوزاً حمقاء. ها هي فرائس سائغة تكفي لإشباعي وإشباع





ثلاثة من أصدقائي الغيلان سيأتون لزيارتي هذه الأيّام.

وأخذ يسحبُ الأولادَ من تحت السّريرِ الواحد تلو الآخر. فجَثا المساكين على رُكَبِهم طالبين منه الرّحمة، لكنّهم كانوا تحت يدي أكثر الغيلان قسوةً. كان قد بدأ بالتهامهم بعينيه فعلاً، قائلاً

لزوجته إنّهم سيكونون وجبة شهيّة عندما تطهوهم بالمرقِ اللذيذ.

ثمّ استلّ سكّيناً كبيرة وأخذ يشحذها على حجر طويل كان ممسكاً به في يده اليسرى. وراح يدنو من الأطفال، حتّى قبض بقوّة على واحد منهم. عندها قالت له زوجته:

- ماذا تفعل في هذه السّاعةِ المتأخرة؟ ألن يكونَ لديك وقتٌ لذلك غداً في الصباح؟

نهَرَها الغول قائلاً:

- اصمُتي أنتِ، سيكون لحمهم الآن أكثر طراوة.

عادت الزّوجة وقالت له:

- لكنّ لديك الآن الكثير من اللّحم: هناك العِجل، وخروفان اثنان!

قال لها زوجها الغُول:

- إنّك لعلى صواب. أطعميهم حتّى يسمنوا، وخذيهم ليناموا.

طَرِبت المرأة الطيّبة من الفرح، وأخذت الأولاد لتقدّم لهم طعام العشاء. لكنّهم لم يقربوا الطعام لأنّ الخوف كان قد استولى عليهم. أمّا الغول، فقد غرق في الشّربِ سعيداً بالغنيمة التي سيدعو إليها أصدقاءه. وشرِبَ دستةً من الكؤوس فوق ما اعتاد على شُربه، ممّا ثَقُل على رأسه، ودفعه للذّهاب للنوم.

كان للغول سبع بناتٍ صغيرات. وكان لتلك الغيلان الصّغيرات بشَرات جميلة إذْ كنّ يأكلنَ اللّحمَ الطازَجَ كأبيهنّ؛ وكانت لهنّ عيونٌ كاملةُ الاستدارةِ صغيرةٌ ورماديّة، وأنوفٌ معقوفةٌ، وأفواهٌ كبيرةٌ بأسنان طويلة متفرّقة؛ ما كنّ مُتوحّشات بعد، وإن كنّ في طريقهنّ لذلك، إذ كنّ يعضضنَ الأطفالَ الصغارَ ليمصصنَ دماءَهم.

كانت الفتيات السّبع نائمات منذ ساعةٍ مبكّرة. كنّ راقداتٍ جميعاً في فراش واحد كبير، يعتلي رأسَ كلِّ منهنّ تاجٌ من الذّهب. وكان في الغرفة فراش آخر بحجم مماثل، وضَعَت فيه زوجة الغول الأولادَ الصّغار السبعة، ثمّ ذهبت لتنامَ بجوارِ زوجها.

لاحظَ أُصَيبِع التّيجانَ الذّهبيةَ تعلو رؤوس بناتِ الغولِ النائمات، وخشيَ أن يندم الغول على عدم ذبحه لهم هو وإخوته في المساء ذاته. فقامَ في منتصف الليل ونزع قلنسوته وقلنسوات إخوته ووضعها فوق رؤوس بنات الغول النائمات بعدما نزع عنهنّ التيجان الذهبية ليضعها فوق رأسه ورؤوس إخوته، وذلك ليضلّلَ الغول فيظنّ هذا أنّهم الفتيات، ويظنّ أنّ بناته هنّ الأولاد الذين يريد ذبْحهم. وقد نجحت الخطّة كما تخيّلها أصَيبع. فقد قام الغول في منتصف الليل نادماً لأنّه أجّل للغد ما يستطيع أن ينجزه في تلك الليلة، فقفز من سريره واستلّ سكّينه، قائلاً لنفسه:

- هيّا، لنتفقّدِ الصّغار الملاعين، لن أتردّدَ هذه المرّة.

وصعد متلمّساً طريقه نحو غرفةِ بناته، واقترب من الفراش الذي يرقد فيه الأولاد، وقد كانوا جميعاً يغطّون في سباتِهم إلاّ أُصَيبِع. وتحسّست يدُ الغول رؤوسهم، فأحسّت بوجود التيجان عليها. وقال لنفسه:

- كنت سأقومُ هنا بعملٍ أخرق، أرى أنّي قد أفرطتُ في الشّربِ هذه اللّيلة.

ثمّ توجّه إلى فراشِ البنات، وتحسسّ الرؤوس فلمسَ قلنسوات الأولاد، وقال:

- ها هُم الصغار البواسل. فلنعملْ بكلّ شجاعة.

وقطع رؤوس البنات السّبع دون تردّد، ثمّ ذهب سعيداً بصنيعه لينامَ بجوارِ زوجته.

وما إن سمعَ أُصَيبِع غطيطَ الغولِ حتّى أيقظَ إخوته، وقال لهم أن يرتدوا ملابسَهم بسرعةٍ ويتبعوه. ونزلوا جميعاً إلى الحديقة، وقفزوا من فوق السّور. وأخذوا في الركضِ ما تبقّى من الليل، مرتعدين، لا يعرفون إلى أين يتّجهون.

وعندما استيقظ الغول، قال لزوجته:

- اصعَدي لتهيئة هؤلاء الأولاد الشّجعان الذين جاءوا بالأمس.

اندهشت الزوجة من كلامِ الغول، وفكّرَت أنّه ربّما طلب منها تهيئتهم للرّحيل لا للطهوِ كي يأكلهم. وصَعَدت إلى الغرفة، ففوجئت ببناتها السّبع مذبوحات وغارقات في دمائهنّ.

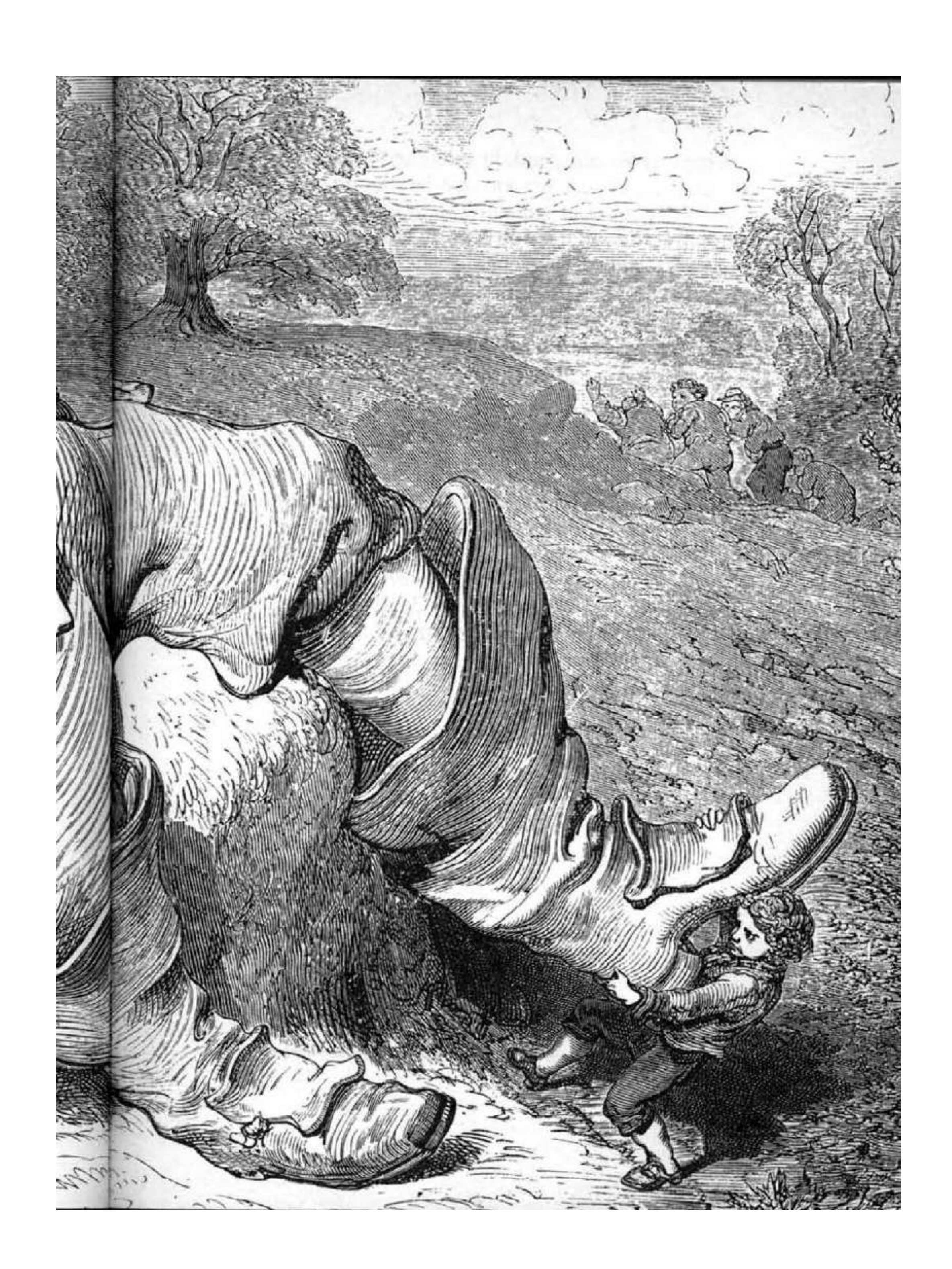
كان أوّل ردّ فعلٍ لها هو أن أُغشي عليها (وهو ما تفعله أغلب النّساءِ في الحالات المماثلة). وعندما خشيَ الغول أن تبطئ زوجته في تنفيذ المهمّة التي كلّفها بها، صعد إليها ليساعدها، ولم تكن مفاجأته أقلّ من مفاجأةِ زوجته عندما رأى المشهدَ البشع. فصرخ:

- أوّاه! ماذا فعلت أنا هنا؟ سيدفع التعساء ثَمَنّ ذلك غالياً، وفي الحال.

وقام برشّ بعضِ الماء على أنفِ زوجته لتُفيق، وقال لها:

- أحضري لي حذاءَ الفراسخ السّبعة (أي الجزمة المسحورة التي تمّكنه من اجتياز سبعة فراسخ في كلّ خطوة) لألحقَ بهم.

وخرجَ وراءهم في البرّ، وبعد أن ركضَ في كلّ الاتجاهات بحثاً عنهم، دخل أخيراً في الطريق التي فرَّ عبرَها الأولاد المساكين،





الذين كانوا قد صاروا على بُعدِ مائة خطوة فقط من بيتِ أبيهم. ورأوا الغولَ يقفز من جبلٍ إلى آخر، ويجتاز الأنهارَ كمن يجتاز جدولاً صغيراً. رأى أُصَيبِع صخرة مجوَّفة بالقربِ من المكان الذي كانوا فيه، فخبّأ إخوته الستّة داخلَها واختبأ وإيّاهم، وظلّ يراقب الغول. كان الغول قد أُنهِكَ من

طولِ الشّوط الذي قطَعه دون جدوى، فحذاءُ الفراسخ السّبعة يُرهق مُنتعِلَه أيّما إرهاق. فرغبَ الغول في أن يستريح، وبالصّدفة جلسَ على الصّخرةِ نفسها التي اختبأ في جوفها الأولاد الصغار.

لما كان الغول قد تملّكه الإرهاق، فسرعان ما غطّ في النومِ حالَ جلوسه، وأخذ يُطلق شخيراً مفزعاً أرعبَ الأولاد المساكين مثلما أرعبهم حين همَّ بذبحهم بسكّينه في اللّيل. كان أُصَيبِع أقلّهم خوفاً، فقال لإخوته أن يفرّوا إلى بيت أبيهم في الحال بينما الغول غارقٌ في نومه، وألاّ يقلقوا بشأنه هوَ. فسمعوا نصيحته، وهُرِعوا إلى البيت.

اقترب أُصَيبِع من الغول، وسحَبَ منه حذاءه برفق، وانتعله في الحال. كان الحذاء كبيراً للغاية، ولكن لأنّه مسحورٌ، فقد كان له أن يكبرَ أو يصغرَ ليلائمَ القدمَ التي تنتعله، فجاء مناسِباً لقدم أُصَيبِع كما لو كان قد صُنِعَ خصّيصاً لها.

ذهب أُصَيبِع مباشرةً إلى بيتِ الغول، حيث وجدَ زوجته تبكي بجوار بناتِها المذبوحات، فقال لها:

- إنّ زوجَك في خطرٍ عظيم، فقد أسرتْه عصابة من اللّصوص، وقد أقسموا على قتله إن هو لم يُعطهم كلّ ثروته من الذّهب والفضة. وفي اللّحظة التي وضعوا فيها الخنجر على رقبته لمَحَني، ورجاني أن أجيءَ إليك لأُخبرك بما هو فيه، وأن أطلبَ منكِ كلّ ما لديه هنا، وإلاّ لَقتلوه بلا رحمة. ولأنّ الأمر عاجلٌ للغاية، فقد أعطاني حذاءَ الفراسخ السّبعة حتّى أصلَ سريعاً، وكذلك حتّى لا تظنّي أنّني محتال.

فزعت السيّدة الطيّبة، وأعطته في الحال كلّ ما لديها، لأنّها كانت تحبّ زوجَها، بالرّغم من أنّه يأكل الأطفال. فحصلَ أُصَيبِع على كلّ ثروةِ الغول، وعادَ إلى بيتِ أبيه، حيث استقبلَه الجميع بالفرح.

بعض النّاس لا يعترفون بهذه الحادثةِ الأخيرة، ويدَّعون أنّ أُصَيبِع لم يسرق أموالَ الغول قطّ، وأنّه لم يشعر بالذّنب لاستيلائه على حذائه المسحور، حذاء الفراسخ السّبعة، لأنّ الغول لم يكن يستخدمه إلاّ لمطاردة الصّغار. هؤلاء الناس يؤكّدون أنّ معلوماتهم آتية من مصادرَ موثوق بها، لا بل حتّى أنّهم حصلوا عليها لأنّهم تناولوا الطّعام والشّراب في بيت الحطّاب. وهم يؤكّدون أنّ أُصَيبِع ما إن انتعل حذاءَ الغولِ حتّى ذهب إلى بلاطِ أحد الملوك، حيث كان الملك ورجاله قلقين بشأن

جيشهم الذي كان يخوض معركة على بُعد مائتي فرسخ. ويزعم هؤلاء إنّ أُصَيبِع قابلَ الملك، وأخبره أنّه يستطيع أن يأتيَه بأنباء الجيش قبلَ انتهاء اليوم، فوعَده الملك بمبلغ ضخم من المال إنْ هوَ فعلَ ذلك. وبالفعل جاءَ أُصَيبِع بأخبارِ الجيش في مساء اليوم نفسه. هذه الرّحلة الأولى جعلته مشهوراً، وصارَ يحصل على كلّ ما يطلبه؛ فقد كان الملك يكافئه بسخاءٍ مقابلَ إيصال أوامره إلى الجيش، كما أنّ سيّدات كثيرات صِرن يعطينه ما يريد مقابلَ أن يأتيَ لهنّ بأخبارِ أحبّائهنّ، وهو ما درَّ عليه أرباحاً طائلة.

وكانت بعض النّساءِ يُكلّفنه بإيصال الرسائل لأزواجهنّ، لكنْ بمقابلٍ زهيد، وما حَصّله من ذلك شَكّل له عائداً ضئيلاً لا يستحقّ أن يوضعَ في الحسبان.

وبعدما اضطلع أُصَيبِع بمهمّة ساعي البريد هذه ردحاً من الزّمن، وجَمَعَ منها ثروة طائلة، عادَ إلى بيتِ أبيه، حيث استُقبِلَ بفرحٍ يفوق التّصوّر. وقد نعمتْ بخيره عائلته كلّها، فاشترى مناصبَ فخريّة لأبيه وإخوته؛ فتمتّعوا جميعاً بالاستقرار، وعاشوا شاكرين له حُسنَ صنيعِه.

**العِبرة**

لا أحدَ يجزعُ من كَثرةِ الأبناء

إذا ما كانوا وسيمينَ أقوياء البِنْيةِ طوالَ القامات

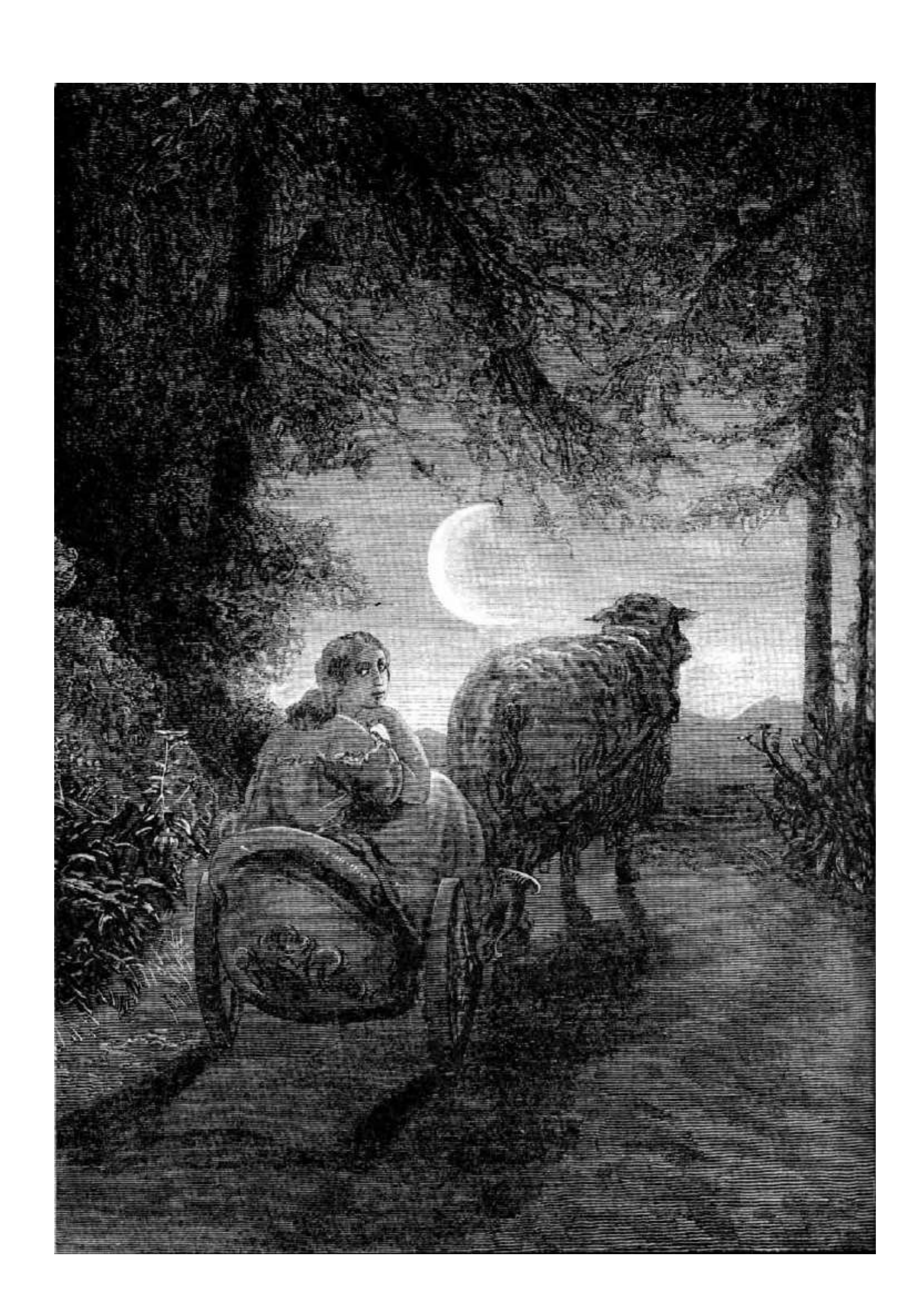
وذوي مظاهرَ خلاّبة

لكنْ عندما يكون أحدُهم واهيَ الجِسمِ أو لا يُحسِن الكلام

فثمّةَ من يزدريه أو يسْخر منه أو يعتدي عليه،

معَ أنّ هذا المسْخَ الشائه

هو مَن يصنعُ أحياناً هناءَ العائلةِ بأسْرها.



## جِلدُ الحِمار
## (انطلاقاً من حكاية شعريّة لشارل بيرّو[11])

كان يا ما كان، كان هناكَ ملكٌ عظيمٌ، يحظى بحُبّ جميعِ رعاياه، وباحترامِ كلّ جيرانِه وحلفائِه حتّى لَيمكن القول إنّه كان أسعد الملوكِ طرّاً. وقد اكتملت سعادتُه باختيارِه قرينةً له أميرةً ذات جمالٍ وعفّة؛ وعاش الزّوجان السّعيدان في وفاقٍ تام. لم يثمر زواجهما سوى بنتٍ وحيدةٍ، وُهبت الحُسنَ واللّطفَ فعوّضتْهما بذلك عن قلّة الذرية.

كان قَصره تسودُه الفخامة والرّخاء والذوق الرفيع؛ الوزراء كانوا مَهَرةً وحكماء؛ والحاشية رجالها من الأفاضلِ المُلتزمين؛ والخدم كانوا مخلصين ومتفانين في العمل. وكانت الاسطبلات عامرة بأجودِ أنواعِ الخيل المطهَّمة بالأغطيةِ المزخرفة. ولكنّ ما كان يثير عَجَبَ الأغراب ممّن يأتون للفُرجة على تلك الاسطبلات الرائعةِ هو حمارٌ وُضِعَ في صدر المكان وقد برَزَت له أُذنان طويلتان كبيرتان. لم يضعه الملك في هذه المكانةِ الخاصّة والمميَّزة اعتباطاً، ولكن لأنّ خصال هذا الحيوان النادر كانت تستحقّ هذا التقدير. فالطّبيعة قد شكّلته على نحوٍ عجيب، إذ بدلاً من الأوساخ، تكون فرشتهُ مغطاةً كلّ صباحٍ بمقاديرَ من الدّراهم والعملات الذهبية من كلّ الأصناف، يتمّ جمعها فورَ استيقاظه.

ولأنّ تقلبات الحياةِ تطالُ الملوكَ كما تطال عامة الناس، ولأنّ الخيرَ دائماً ما تمتزج به بعض الشّرورِ، فقد حَكَمَتِ السّماءُ بأن تُصَاب الملكةُ، على حين غرّةٍ، بمرضٍ عضالٍ، عَجَزَ العلم ومهارة الأطباء عن إسعافها منه. وعمَّ الحزن. وسَقَطَ الملكُ، العاشق الولهان، في كدرٍ شديد مكذِّباً بذلك المثل

الشّهير القائل إنّ الزواجَ مقبرةُ الحبّ. وطافَ بكلّ دُور العِبادةِ في مملكتهِ رافعاً دعواته الصّادقة، وكان على أتمّ استعداد للتضحيةِ بحياتهِ من أجلِ إنقاذِ حياة زوجتهِ العزيزة. لكنّ ابتهالاته كلّها ذهبت سدى. وعندما شعرتِ الملكةُ باقترابِ ساعتها الأخيرة، قالت لزوجها الغارق في دموعه:

- اسمحْ لي بأن أطلب منك شيئاً قبلَ أن أموت، وهو أنّه، إذا ما عنّ لك أن تتزوّج مرّةً ثانيةً....

أطلق الملك صرخاتٍ مثيرةً للشفقة لدى سماعه كلمات زوجته، وأخذ يديها بين يديه مُغرقاً إيّاها بدموعهِ، وحاول أن يُطمئنها إلى أنّ حديثها عن زواجه مرّة ثانية لم يكن هناك ما يستدعيه. قال لها:

- لا، لا يا مليكتي العزيزة، حدثّيني بالأَحرى عن اللّحاق بك.

فقالت الملكة بحسم ضاعف من أسف الملك:

- الدولةُ.. ستكونُ الدولةُ بالضّرورةِ بحاجةٍ لمن يخْلُفُكَ في العرشِ، وبما أنّي لم أُنجب لك سوى ابنة وحيدة، فإنّ ذلك يستحثّك على انجاب أبناء يشبهونك؛ لكنّي أطلب منك بشدة، وباسم الحبّ الذي تكنّه لي، ألاّ تخضع لضغوط شعبك إلاّ عندما تجد أميرةً تفوقني في الجمالِ والحُسن. أريدُ عهداً منك بذلك حتّى أموتَ راضيةً.

قد تكون الملكة، التي لا تنقُصُها الكبرياء، قد طالبت بذلك العهد لثقتها أنّه لا يوجد في العالم امرأة تضاهيها في الجمال، معتقدةً أنّ ذلك يضمنُ عدم زواج الملكِ ثانيةً أبداً. وفي النهايةِ ماتت. ولم يُحدِثْ زوجٌ مثل ذلك الصّخب: بكاء، وعويل في اللّيلِ والنهار، وصارت التفاصيلُ الدقيقةُ للحدادِ هي شاغله الوحيد.

الأحزان العظيمة لا يمكن أن تدومَ إلى الأبد. وعلى هذا، فقد اجتمع كبار رجالِ الدولةِ، وذهبوا بكامل هيئتهم لحثّ الملكِ على الزّواج ثانيةً. بدا له الاقتراحُ قاسياً، وانهمرت من عينيه الدّموع مجدّداً. وذكر العهدَ الذي كان قد قطعَه على نفسهِ أمامَ الملكةِ، وتحدّاهم أن يستطيعوا العثورَ على أميرةٍ تفوقُ زوجته حسناً وجمالاً، معتقداً أنّ ذلك من المستحيلات. لكنّ المجلسَ قابلَ ذلك العهد باستهانةٍ، وقال إنّ شرط الجمال ليس مهمّاً، والمهمّ في الملكةِ أن تكونَ فاضلةً ولوداً؛ وإنّ الدولةَ

تتطلبُ وجودَ أمراءَ لضمان رفاهتها واستقرارها؛ وإنّ الأميرةَ الصّغيرةَ لديها كلّ المؤهلات لتكون ملكةً عظيمةً، ولكن لا بُدّ من اختيار زوجٍ لها؛ وإنّ زوجاً غريباً سيأخذُها لديه، أو يجلسُ معها على العرشِ، وإنّ الأحفادَ في هذه الحالة لن يكونوا من صُلبهِ، ولن يكونَ هناك أميرٌ يحملُ اسم الملك، والشّعوب المجاورة قد تجرّهُ إلى حروبٍ تقود المملكةَ إلى الدّمار. صُدِمَ الملكُ من كلّ هذه الاعتبارات، ووعدَ بمحاولةِ إرضائهم.

وبالفعل، بحثَ بينَ الأميرات عمّن يمكن أنْ تناسبه. كلّ يوم يُحضرون له صوراً لصبايا فاتنات لكنّ أيّاً منهنّ لم تتمتع بمحاسن الملكة الراحلة؛ وهكذا لم يستطع أن يحسمَ قراره.

ولسوء الحظ، خَطَرَ ببالِ الملك أنّ الصّغيرةَ، ابنته، لم تكن فقط أجملَ من أمّها وأكثر حسناً، لكنّها أيضاً كانت تفوقها كثيراً بعقلها وخصالها. فأشعل شبابُها ونضارةُ وجهها الجميل في الملك ناراً حارقة لم يستطع إخفاءها عن الصّغيرة، وقال لها إنّه توصّل لحلٍّ بأن يتزوّجها بما أنّها الوحيدة التي يمكنها أن تحرّره من العهد الذي كان قد قطعه على نفسه.

شَعَرت الأميرةُ الشابة إنّها سيُغشى عليها لدى سماعِها ذلك الاقتراح الرهيب. وارتمت عِند أقدامِ أبيها راجيةً إيّاه بكلّ ما في نفسها من عنفوان ألاّ يُرغمها على ارتكاب مثل هذه الجريمة.

استشارَ الملكُ، الذي قرَّ في ذهنه هذا المشروع العجيب، كاهناً مُسنّاً لكي يريحَ بالَ ابنته. كان طموح ذلك الكاهن يتفوّق على تقواه، فضحّى بقيمتي البراءة والفضيلة، مقابلَ أن يحظى بثقةِ مثلِ هذا الملك العظيم، متسلّلاً إلى وعيه بدهاء، مزيِّناً له الجريمة التي هو بصدد ارتكابِها، لا بلْ أقنعه بأنّ زواجَه من ابنته هو من قبيل أعمال التقوى. قبَّل الملكُ ذلك الكاهنَ الشرّير، مأخوذاً بمداهناته، وأصبح أكثَرَ تصميماً على مشروعه، وأعطى أوامرَه للأميرةِ أنْ تتجهّزَ لتلبيةِ رغبته.

لم تتخيّل الأميرةُ الشابّة، وقد ألمَّ بها ألمٌ عظيم، شيئاً آخر سوى أن تذهبَ لزيارةِ عرَّابتها «جنّية اللّيلك». فانطلقت في اللّيلةِ ذاتها لهذا الغرض في عَرَبة جميلة يجرّها كبشٌ سمينٌ يعرف كلّ الدروب. ولحسن الحظّ، وصلت إلى هناك. فقالت الجنّية للأميرة، وكانت تحبّها كثيراً، إنّها تعرفُ كلّ ما قد جاءت لتقصّه عليها، وأخبرتها ألاّ ينتابها القلق، فلا شيءَ يُمكنه أن يُلحقَ بها الضّررَ إنْ هيَ التزَمَت بتنفيذِ ما ستُمليه عليها. وقالت لها:

- إنّ زواجك من أبيك يا أميرتي العزيزة سيكون خطيئةً كبيرةً؛ لكن يُمكِنُك تجنّب ذلك من دون معارضته؛ قولي له إنّه، كي يلبّي لك إحدى رغباتك، عليه أن يأتي لك بثوبٍ في لونِ الزّمن. لن يستطيع أبداً بكلّ ما لديه من حبّ ومقدرة أنْ يتوصَّل إليه.

شَكَرتِ الأميرةُ عرّابتَها جزيلَ الشّكر. وفي صباحِ اليوم التالي، قالت للملك ما نَصَحتها بِهِ الجنّية، مؤكدةً إنّها لن تُعطي موافقتَها ما لم تحصل على ثوبٍ بلونِ الزّمن. فرحَ الملك بالأمل الذي كانت ابنته تمنحه إيّاه، وجَمَعَ أشهرَ الخيّاطين في مملكته، وأمرَهم بِصُنعِ ذلك الثوبِ، مهدّداً بشنقهم جميعاً إنْ هم فشلوا في ذلك. إنّ السّماءَ الُعليا المحاطةَ بالسّحائب الذهبيةِ لن تبدوَ زرقتُها أَجمَلَ ممّا بدا عليه ذلك الثوبُ عندما عُرِضَ عليهم. سَقطَت الأميرةُ في كدرٍ عظيمٍ، ولم تعرفْ كيف تخرجُ من هذه الورطة. وتعجّل الملكُ العاقبة. فوجبَ على الأميرة أن تُهرعَ ثانيةً إلى العرّابةِ، التي اندهشت من عَدَم نجاحِ حيلتها. وقالت لها أنْ تحاول أنْ تطلبَ منه ثوباً آخر بلونِ القمر. أرسل الملك، الذي لا يستطيع رفضَ طلبٍ لابنته، لإحضار أمهرَ الخيّاطين، وأمَرَهم بتجهيزِ ثوبٍ في لون القمر في ظرف أربعٍ وعشرين ساعة.

كانت الأميرة مفتونة بالثوب أكثر ممّا بعناية أبيها الملك، وانتابها غمٌّ لا حدود له عندما جلست مع مربيّتها ووصيفات القصر. وجاءت جنّية اللّيلك لنجدتها، وقد عرفت بكلّ شيء، وقالت لها:

- يبدو أنّني قد أخطأتُ في حساباتي، ماذا لو تطلبين منهُ ثوباً بلونِ الشّمسِ، سنكونُ قد شارفنا على جعل والدكِ الملكِ يسأم من الأمر كلّه، لأنّهم لن يتوصّلوا أبداً لصُنع ثوبٍ كهذا، أو على الأقلّ سنكسبُ بعضَ الوقت.

وافقتِ الأميرةُ، وطلبت الثوبَ من أبيها، فلم يتردّد الملك العاشق في إعطاء كلّ قِطع الماسِ والياقوت التي في تاجه ليُرصَّع بها ذلك الثوب البديع، موصياً بعدم ادّخار أيّ جهد كي يخرجَ ذلك الثوب بألقِ الشّمس. وما إن ظهرَ الثوب حتّى اضطُرّ كلّ من رآه إلى إغلاق عينيه حتّى لا يعشيهما البريق. كيف صار حالُ الأميرة وقتَذاك؟ لم يُرَ قبل ذلك الثّوب شيءٌ بمثل ذلك الجمال أو بمثلِ تلك الصّنعة. اضطربت الأميرةُ، وبدعوى انبهارِ عينيها، انسحبت إلى حُجرتها حيث كانت تنتظرُها الجنّية وهي في غاية الارتباك. بل كان الأمر أسوأ من ذلك، لأنَها عندما رأت ثوبَ الشمسِ احمّر وجهها غَضَباً. وقالت للأميرة:

- آه يا صغيرتي، هذه المرَّة، سنُخضِعُ الحبّ الشائنَ الذي يطالب به أبوكِ إلى اختبارٍ رهيب. هو مُصرٌ على هذا الزّواج، ويتخيّل انّه سيتحقّق في القريب العاجل. ولكن أعتقدُ إنّه سيطيش صَوابُه لو طُلِبَ منه ما سأنصحُك به: جِلدُ ذلك الحمار الذي يحيطه هو برعايته ويغدق عليه كلّ ما يحتاجه من نَفَقات؛ هيّا اذهبي وقولي له إنّك ترغبين في ذلك الجِلد.

ذهبت الأميرةُ لتعرضَ على أبيها رغبتها في الجِلد، وقد قرَّ بالُها لأنّها وجدت أخيراً وسيلةً تُخلّصَها من تلك الزّيجة الكريهة، معتقدةً أنّه لن يُقدِمَ أبداً على التضحيةِ بحِمَارهِ الجميل. بُهِتَ الملكُ من طلبِ ابنته الغريب، وإن لم يُثْنه ذلك عن إرادةِ إرضائها، فذُبِحَ الحِمَارُ المسكين، وبكلّ أناقةٍ جِيءَ بِجلدِه إلى الأميرة.

هُرِعت العرَّابة إلى الأميرةِ فوجدَتها تُمزّق شَعرَها وتلطمُ خدّيها الجميلين وكانت قد انتابها اليأسُ من أنْ تجدَ وسيلةً تُنقذها من بؤسِها، فقالت لها:

- ماذا تَفعلين يا ابنتي؟ إنّها أسعد لحظات حياتك. ضعي على جَسَدك هذا الجلد، واخرجي من هذا القصر، واذهبي إلى حيثُ تحملُكِ الأرض. عندما يضحّي المرءُ بكلّ شيءٍ من أجل الفضيلة فإنّ الآلهة تعرف كيف تعوّضه خيراً. اذهبي، وأنا سأحرص على أنْ تتبعَك أدواتُ زينتِك حيثما حللتِ. ففي الأماكن التي ستتوقّفين فيها ستجدين الصّندوقَ الذي يحتوي على ثيابِك وجواهرك يتبع خطواتك على الأرض، وها هي عَصَاي فخُذيها: متى احتجتِ إلى ذلك الصّندوق، انقري بها الأرضَ وسيظهر لعينيك؛ ولكنْ عجّلي بالرّحيل ولا تتأخّري.

غَمَرتِ الأميرةُ عرّابتها بالقُبلات، ورَجَتها ألاّ تتخلّى عنها أبداً، والتحفت بجلدِ الحمارِ بعدَما لطّخت جَسدها بسُخام الموقد، وخرجت من ذلك القصرِ المنيفِ، دون أن يعرفها أحد.

أحدَثَ غيابُ الأميرةِ ضجّةً كبيرة. وسَقَطَ الملكُ في الغَمّ بعدَما كانَ قد أمرَ بإقامةِ حفلٍ عظيمٍ، ولم يفلح في تعزيته شيء. وأطلقَ أكثر من مائة دركيّ وأكثر من ألف فارس للبحثِ عن ابنته؛ ولكنّ الجنّيةَ التي كانت تحرُسها أخفتها عن عيونِ أكثرِ الباحثين حذْقاً. هكذا كان عليه في نهايةِ المطافِ أن يتعزّى لغيابِ ابنته.

في تلك الأثناء أخذت الأميرة تسير وتسير. ذهبت بعيداً، فأبعد وأبعد، باحثةً عن مكان. كان النّاس يتصدّقون عليها بما تأكله، لكنّ أحداً لم يرغب فيها لقذارتها. ثمّ وصلت إلى إحدى المدن. على

مداخل هذه المدينة كانت توجد مزرعةٌ تحتاج صاحبتها لخادمةٍ تغسلُ لها الخِرَق وترعى دواجنها وتنظّفُ مشاربَ الماشية. وعندما رأت السيّدةُ هذه المسافرةَ شديدةَ الاتّساخ، دعتها للدخولِ إلى منزلها؛ وهو ما قبلت به الأميرةُ عن طيبِ خاطرٍ، لأنّها كانت مرهقة من طول السّير. أجلستْها مُضيفتها في رُكنٍ قصيّ من المطبخ، حيث تعرّضَت في الأيام الأولى للمزاح الخشن من باقي الخدم، لأنّ جلد الحمار الذي كانت ترتديه كان يُظهِرُها بمظهرٍ قذرٍ مُنفِّر. وفي نهاية المطاف اعتادوا عليها. ثمّ إنّها أوْلتْ واجباتِ عَمَلِها عنايةً فائقةً حتّى أنّ صاحبةَ المزرعةِ شملتْها بحمايتها. كانت تقودُ الخرافَ إلى المرعى وتُعيدها للحظائر في المواعيدِ المُحدّدَةِ، وترعى الدواجنَ بمهارةٍ كما لو كانت فعلت ذلك طيلة حياتها. كلّ ما تلمسه بيديها الجميلتين كان يبدو أكثر ينوعاً.

وفي أَحَدِ الأيام، كانت جالسةً عند نبعٍ صافٍ، اعتادت أنْ تذهبَ إليه لترثي لحالِها المُحزنة، فنظرت إلى انعكاسِ صورتها في الماء، وارتعبت لمنظرها بجلد الحمار البشع الذي يغطّي جسدها وشعرها. شعرت بالخجلِ من مظهرها، فغَسَلت وجهَهَا ويديها في الماء فارتدّت في بياضِ العاج، واستعادت بشرتُها نضارتَها الطبيعيّة. ولقد أشعرَها فرحُها بعودةِ جمالها إليها بالرغبةِ في الاستحمامِ، وبالفعل اغتسلتْ، لكنّها اضطُرّت في نهاية المطاف لارتداءِ الجلدِ المُخجلِ مرّةً أُخرى حتّى تعودَ إلى المزرعة. ولحُسن الحظّ، كان اليومُ التالي يومَ عطلةٍ، فأتيحت لها الفرصةُ كي تُخرِجَ صندوقَ زينتِها، فتزيّن نفسَها، وتُصلِحَ شَعرَها الجميل، وترتدي ثوبَها الذي بلونِ الزّمن. كانت حُجرتها ضيّقةً للغاية، حتّى أنّها ما كانت لتستوعب حاشيةَ الثوب الطويلة. وشعرت الأميرةُ، عن حقٍّ، بالزّهو لجمالها إذ تطلعت إلى نفسها في المرآة، فقرّرت أن ترتدي أثوابها الجميلة تباعاً في أيام العُطلِ والأعياد لترفّه عن نفسِها؛ وهو ما فعلتْه بالفعل. كانت في تلك الأيّام تُرَصّع شعرَها بالزهورِ والجواهرِ في نظامٍ بديعٍ، وتنتابها الحسرةُ إذ لم يكن من شاهدٍ على جمالِها سوى خِرافِها وديَكتها الرّوميّة، التي كانت كلّها تُحبّها حتّى وهي ملتحفة بجلد الحمار البشع، الذي بسببه أطلق كلّ من كانوا في المزرعةِ عليها اسمَ «جِلد الحمار».

وفي أحدِ أيّام الأعيادِ، ارتدت الفتاة ثوبَها الذي بلونِ الشّمس. وحَدَثَ يومَها أن نَزَلَ الأميرُ نجلُ الملك الذي تقع المزرعة في أملاكه ليستريحَ فيها في طريقِ عودته من رحلةِ صيد. كان الأميرّ شابّاً وسيماً حسن التكوين، محبوباً من لدن أبيه وأمّه الملكة ومن قبل الرعيّة. قدّم له القيّمون على المزرعة وجبةَ ضيافةٍ ريفيّةٍ فتناولها؛ ثمّ ثمّ أَخَذَ في تفقّد أقنان الدّجاج وكلّ أركانِ المزرعة، متنقّلاً من مكانٍ إلى آخر، حتّى دخلَ ممرّاً مُعتِماً وجدَ في نهايتهِ باباً مغلقاً. دفَعَه الفُضول إلى أن ينظرَ في

ثقبِ المفتاح، فذُهِلَ لمرأى الأميرةِ بِجمالِها الشديد وثوبِها الخلاّب، وظنَّها كائناً سماويّاً لاجتماع النُبلِ والتواضع في مظهرها. شعَرَ باندفاعٍ في أحاسيسهِ كادَ يدفعَه إلى اقتحامِ الباب، ولم يمنعه من ذلك سوى التوقير الذي أوحى له به الشّخص الرائع الذي كان قابعاً هناك.

خرجَ بتثاقلٍ من ذلكَ الممرّ المظلم، لا لشيء إلاّ ليسألَ مَن تكون الفتاة التي تسكنُ تلك الغُرفةَ الصّغيرة. قالوا له إنّها خادمةٌ تدعى «جِلد الحمار» بسببِ الجلدِ الذي ترتديه، وإنّها فتاةٌ شديدة الاتّساخِ فلا أحدَ يكلّمُها أو ينظر إليها، وإنّها تمّ تشغيلُها من بابِ الشفقةِ لا غير في رعْي الغنم والدواجن.

لم يقتنع الأميرُ بهذا التّفسير، وأدرك أنّ أؤلئك الفلاّحين لايعرفون أكثرَ من ذلك، وأنّه لا جدوى من مساءلتهم. وعادَ إلى قصرِ أبيه الملك، مدلَّهاً بالعِشق، والصّورةُ الجميلةُ لذلك الكائن السماويّ الذي رآه عبرَ ثقبِ المفتاحِ لا تفارق عينيه. ونَدِمَ لأنّه لم يطرق البابَ ليكلّم الفتاة، مُقرّراً ألاّ يضيّع مثل هذه الفرصة في مرّةٍ قادمة. لكنّ فوران دمه بسبب اضطرام الحبّ تسبَّبَ في إصابته، في الليلة ذاتها، بحمّى رهيبة، وسُرعانَ ما أصابَه هزال شديد. وانتاب اليأسُ أمّه الملكة التي لم تنجب غيره، إذ لم ينفع معه دواء، ووعَدَت الأطباءَ بمكافآتٍ سخيّةٍ، فجرّبوا كلّ علومِهم، ولم تُجدِ نفعاً في إشفاءِ الأمير.

في نهاية المطاف، خمّنَ الأطبّاء أنّ حزناً عظيماً هو سببُ كلّ تلك المعاناة، وأخبروا الملكةَ بذلك، فذهبت وملؤها الشفقة على ولدِها لتُعلِمَه بباعثِ مرضه؛ وسألتهُ إنْ كان الأمرُ يتعلّقُ بِرغبتهِ في التاج، فإنّ والدَه الملك سينزل له في هذه الحالة عن العرشِ غير آسفٍ ليعتليَه هو؛ وإن كان الأمر يتعلّق بأميرةٍ يرغب في الاقتران بها، فسينالها حتّى لو كان هناك خصومة وحروب مع والدها الملك وأسبابٌ حقيقيّة للخلاف؛ فسوف يُضحّى بكلّ شيءٍ حتّى يحصلَ هو على ما يرغب فيه. وتوسلّت إليه ألاّ يترك نفسَه يموت، لأنّ حياتها هي وحياة أبيه متوقّفتان على حياتهِ هو. وأنهت الملكةُ خِطابَها المؤثّرَ وقد أغرقت وجهَ ابنِها بسيلٍ من دموعها. فقالَ لها الأميرُ بصوتٍ واهنٍ للغاية:

- سيّدتي، لستُ ولداً عاقّاً لأطمعَ في تاجِ أبي، أتمنّى من السّماءِ أن يعيشَ سنينَ طويلةً وسأكون دوماً الأكثر إخلاصاً والأكثر إجلالاً له بين الرّعيّة. أمّا عن موضوع الأميرة الذي تقترحينه فأنا لم أفكّر في الزّواج بعد، وليقرّ في اعتقادكم أنّني دوماً رهنَ إرادتِكم وسوف أطيعكم إلى الأبدِ مهما كلّفَني ذلك.

قالت الملكة:

- سأبذلُ كلّ ما في وسعي لإنقاذ حياتك يا ولدي العزيز، لكنْ أنقذْ أنت حياتي وحياةَ أبيك وأفصحْ لنا عمّا ترغبُ فيه، وكن واثقاً من أنّك ستناله.

- حسناً يا سيّدتي! طالما توجّب عليّ أن أفصحَ عن أفكاري، فسأطيع رغبتكما، وإلاّ فسأكون مُذنِباً بتعريضِ حياةِ شخصَين عزيزَين عليَّ للخطر. نعم يا أمّي، أرغبُ في أن تَصنَعَ لي الفتاة المسمّاة «جلد الحمار» كعكةً يؤتى إليَّ بها فورَ اكتمالها.

تساءلت الملكةُ باندهاش عمّن تكون «جلد الحمار» هذه. فتبرَّعَ بالردّ واحدٌ من الضباطِ كان قد رأى الفتاةَ من قبل:

- إنّها أبشع مخلوق بعدَ الذئب، فتاةٌ شديدة الاتّساخ بجلدٍ أسوَد، تعيشُ في ضِياعكم يا مولاتي لترعى الداوجن.

قالت الملكةُ:

- لا يهمّ، قد يكون ولدي ذاقَ كعكة صنعتها هي وهو عائدٌ من رحلةِ الصّيد. إنّها أمنيةٌ لمريضٍ؛ أريدُ أن تصنعَ الفتاة التي اسمها «جِلد الحمار» كعكةً لولدي في التوّ.

وهرُعَ إلى المزرعة أحد الضباط، وجيء بـ «جلد الحمار» وأُمِرَت بصُنعِ أفضلَ كعكةٍ للأمير.

يؤكدُ بعضُ الرّواةِ أنّ «جلد الحمار» كانت قد لاحَظَت عينَ الأميرِ عندما نَظَرَ من ثقب المفتاحِ على غرفتها؛ وأنّها تطلّعت من نافذتِها الصّغيرةِ بعدَذاك، ورأت ذلك الأميرَ الشابّ الشديدَ الوسامةِ، فاحتفظت بالذكرى، التي جعلتها تُطلق أحياناً بعض التنهّدات. وسواءٌ رأته أو سمعت اطراءً كثيراً على شخصه، فقد سُرّت لكونها استطاعت أنْ تَجِدَ إليه سبيلاً. فأغلقت على نفسِها حجرتَها، ونَضتْ عنها الجلدَ البشعَ، وغسلت وجهَهَا ويديها، وصفّفت شعرَها الأشقر، وارتدت صِداراً من الفضّةِ اللاّمعةِ وتنّورةً مماثلةً، وأخذت بتهيئة الفطيرةِ المرجوّة، تصنعها من أنقى صنوف الطحين، ومن بيض وزُبد طازجَين. وبينا تعمل، سَقَطَ خاتمٌ من أحدِ أصابعها في العجين واختلطَ به؛ ولا أحد يدري هل فعلتْ ذلك عمداً أم لا. وما إن نضُجت الكعكةُ، حتّى لفّت الفتاة نفسها

بالجلد البشع وأخذتها إلى الضابط، وسألته عن أخبارِ الأمير. لم يكلّف الضابط نفسه عناء الردّ عليها وطارَ إلى الأميرِ بالكعكة.

تناول الأمير الكعكةَ من يد الرجل بشراهةٍ وأكلَها بحيويةٍ فائقةٍ، حتّى أنّ الأطبّاء الحاضرين هناك قالوا إنّ وثبته تلك لا تُعَدُ علامةَ فألٍ حسَن. وأوشك الأميرُ على الاختناق عندما كادَ يبتلعُ الخاتم الذي وجده في قطعة منها؛ لكنّه انتزعه من فمه بمهارة، وتراجعت شهيته في التهام الكعكة، وهو يختبر بين يديه حجر الزمرّد الكريم المركّب على حلقة ذهبية كانت من النّحافة بحيث فكرَ في أنّ ذلك الخاتم لا يناسب سوى أجمل إصبع في العالم.

طبعَ على الخاتم ألفَ قبلةٍ ووضعَه تحت وسادتِهِ، وكان يخرجه من وقتٍ لآخر عندما يطمئن أنّ أحداً لا يراه. أعياه أن يتخيّل كيف سيرى صاحبة هذا الخاتم، ولم يجرؤ على تصديق من تكون. هل يطلب إحضار «جلد الحمار» التي صَنَعَت له الكعكةَ، وهل سيوافقونه على ذلك؟ هو أيضاً لا يجرؤ على ذكر ما رآه من ثقب المفتاح حتّى لا يتعرّض للسّخرية والاستهزاء كما لو كان مجنوناً يهذي. كلّ هذه الأفكار مجتمعةً كانت تؤرقه، فعاودته الحمّى من جديدٍ، وبضراوةٍ هذه المرّة، ووقع الأطبّاء في حيرة من أمره، وأعلنوا للملكةِ أنّ الأميرَ قد أتلفَه العِشق.

وهرعت الملكةُ إلى رؤية الأميرِ بصحبةِ الملك الذي اغتمّ لما جرى، وقال لنَجله:

- يا ولدي! يا ولدي العزيز، قُل لنا من هي التي تُريدُ الاقتران بها، ونَعِدُك بأن نزوّجها لك وإنْ تكنْ من أفقرِ الخادمات.

وأكّدت الملكةُ وهي تُقبّل ابنها كلامَ أبيه الملك. تأثّرَ الأميرُ لدموعِ والديه وملاطفاتهما له، فقال وقد أخرَجَ الخاتمَ من تحتَ وسادته:

- يا أبي، ويا أمّي، أنا لا أرغبُ في زيجةٍ لا تروق لكما، والبُرهان على هذه الحقيقةِ هو أنّي سأتزوّج الفتاةَ التي سيلائمُها هذا الخاتم أيّاً كانتْ؛ ولا يبدو لي أنّ مثل تلك الإصبع الرقيقة يمكن أن تكون لفلاّحةٍ أو لامرأةٍ من الرّعاع.

أخذ الملك والملكة يفحصان الخاتمَ، وأيّدا اعتقاد الأمير بأنّ مثْل ذلك الخاتم لا بدّ أنْ يكونَ لفتاةٍ من بيتٍ كريم. وخَرَجَ الملك بعد أن قبلَّ ابنَه متمنّياً له الشّفاء، وأمرَ بأن تُعزفَ الموسيقى وتُدَقّ

الطبولُ في انحاء المدينة، وأن يخرج المنادون لدعوةِ جميع الفتيات للمجيء إلى القصرِ ليجرّبن الخاتم، ومن لاءَمها تزوَّجت الأميرَ وريثَ العرش.

جاءت الأميرات أوّلاً، ثمّ النبيلات باختلاف مقاماتهنّ، وأخفقت أصابعهنّ جميعاً في تجربةِ الخاتم، ولم تستطع أيٌّ منهنّ أنْ ترتديه، فتوجب الإتيان ببنات العوامّ، وكنَّ جميعاً من الجميلات، لكنَّ أصابعهنّ كانت أغلظ ممّا يجب. وكان الأمير الذي تماثل للشّفاء هو من يختبر أصابع الفتيات والخاتم. وفي الختام جيء بالخادمات ولم ينجحن بدورهنّ. ولم تبقَ أيّ فتاةٍ لم تجرّب الخاتمَ فأمرَ الأمير باستدعاء الطاهيات ومساعداتهنّ وراعيات الغنم، لكنّ أصابعهنّ الغليظةَ الحمراءَ القصيرةَ لم تنفذ من الخاتم أيضاً. فقال الأمير:

- هل نُحضِرُ تلك الفتاةَ المُسماةَ «جلدَ الحِمَار»، والتي صنعت ليَ الكعكةَ مؤخّراً؟

وأخذ الجميع في الضّحك ونصحوه ألاّ يفعل، إذ هي في غايةِ الاتّساخِ والقُبح. فقال الملك:

- اذهبوا لتُحضروها على الفورِ كي لا يُقَالَ إنّي استثنيت أحداً.

وذهبوا ضاحكين هازئين ليأتوا بفتاةِ فناءِ الدّواجن.

كانت الأميرةُ قد سمعت قرعَ الطبولِ وزعيقَ المُنادين، وخمَّنت أنّ خاتمها هو سببُ هذا الهرج، فهي تحبّ الأمير، والحبّ الحقيقيّ وجِلٌ لا يعرف الكِبْر. وقد كانت في قلقٍ مستمرّ من أن يكونَ لامرأةٍ أخرى إصبع رقيقة كأصبعها. فانتابها فرحٌ عظيمٌ عندما جاءوا ودقّوا بابها ليطلبوها. منذُ سمعتْ أنّهم يبحثون عن إصبع ملائمة لخاتمها، دفعها أملٌ غامضٌ للعنايةِ بشَعرها وارتداء زيِّها الفضيّ الجميل بالتنّورة ذات النّسيج الفضيّ المخرَّم والمطرَّز بالزمرُّد. وحالما سمعت الطّرْقَ على بابها وعرفت أنّهم يطلبونها للذهاب إلى الأمير، لبِسَت جلدَ الحِمَارِ وفتحت البابَ؛ فقالوا لها بنبرةِ سخريةٍ إنّ الملكَ يطلُبها لتتزوّج نجلَه، واصطحبوها بضحكاتهم المجلجِلةِ إلى الأميرِ الذي بُهِتَ بدوره من زيِّها، ولم يتخيّل أنّها هي نفسها التي رآها في ذروةِ الجمالِ والجلال.

كان حزيناً ومضطرباً لأنّه وقَعَ في مثل هذا الخطأ الفادح، وسألَها:

- هل أنتِ مَنْ تقطنين في أقصى ذلك الممرّ المُعتم، في الكوخ الثالث الملحق بفناء الدّواجن في المزرعة؟

أجابت الأميرة:

- نَعَم يا مولاي.

قال لها الأميرُ مُرتعداً وفيما ينفثُ زفرةً عميقة:

- أريني يدَكِ.

ذُهِلَ الملكُ والملكةُ والحُجَّاب الواقفون ورجالُ البلاطِ، عندما خَرَجَت من تحت ذلك الجلدِ الأسود القذر يدٌ رقيقةٌ بيضاءُ ووردّية، واستقرّ الخاتمُ دون عناءٍ في أجملِ إصبعٍ وأرقِّ إصبعٍ في العالم؛ وبحركة بسيطة أسقطت الأميرةُ عنها جلدَ الحمار وبدت بجمالٍ خلاّبٍ، حتّى أنّ الأميرَ رَكَعَ بكلِّ خشوعٍ عند ركبتيها واحتضنهما، ممّا جعلها تحمَرّ خَجَلاً، وإنْ لم يلحظ أحدٌ ذلك إذ أقبل عليها الملك والملكة ليقبّلاها ويطلُبا يدَها لتتزوّجَ ابنهم.

وطفِقتْ الأميرة تشكرهم، خَجْلى من تودّدهِم إليها ومن الحبّ الذي أظهرَهُ لها ذلك الأميرُ الوسيم. وإذا بسقف القاعة يُفتَح فجأةً وتهبط منه «جنيّة اللّيلك» في عربةٍ من أغصانٍ وزهورٍ آتيةٍ من النبتةِ التي تحملُ اسمَها، وحكت لهم بِظُرفٍ مُتَناهٍ قصّةَ الأميرة.

زاد الملك والملكة من تودّدِهِما بعد أنْ عرفا أنّ «جلدَ الحِمَارِ» هي في الأصلِ أميرةٌ عظيمةٌ، وتضاعفَ عشقُ الأميرِ لها لدى معرفتِه بمدى تقواها.

لم يَصبِرِ الأميرُ واستعجلَ زفافَه على الأميرةِ حتّى أنّه لم يتركْ إلاّ مهلةً وجيزةً لإجراء الاستعدادات الملائمةِ لمثل ذلك العرس المهيب. وافتُتِنَ الملكُ والملكةُ بكنَّتِهم الجميلةِ وأسبغوا عليها من حنانهما ومودّتهما؛ أمّا الأميرة فقد أعلنت أنّها لن تستطيعَ أنْ تتزوجَ الأميرَ بدونِ مباركةِ أبيها الملك؛ وكان هو من أوّل من أُرسِلت إليهم دعوات العُرسِ دون إخباره بمن تكون العروس. إنّ «جنّية اللّيلك»، التي كانت ترتّبُ الإجراءاتِ كلَّها، هي من طالبتْ بذلك، ناظرةً إلى العواقب. وجاء الملوك من كلّ البلدان: بعضهم محمولاً على المحفَّات، والبعض الآخر في العربات الفخمة، والأكثر بُعداً جاءوا على صهوات الفيَلة، أو النّمور، أو تحملهم النّسور؛ ولكنّ الأكثر مهابةً وعظمةً بينهم هو أبو الأميرة، الذي كان لحسن الحظّ قد نسيَ حبَّه المُحرّمَ لها وتزوّجَ ملكةً أرملةً ذاتَ جمالٍ عظيم، لم يُرزَق منها بأبناء. وعندما ظهرت أمامه ابنته الأميرةُ عرفَها وقبَّلها بحنانٍ بالغٍ قبل أن تركعَ هي عند

ركبتيه. قدّم له الملكُ والملكةُ ولدَهما الذي غمره هو على الفور بمحبّته. وأُقيمت الأفراح بكلِّ الأبّهةِ المتوقّعة. أمّا العروسان فقد أبدَيا أقلَّ اكتراثٍ ممكنٍ بتلك المظاهر، ولم ينشغل أحدُهما سوى بالآخر.

وفي الليلةِ ذاتها تنازلَ الملكُ أبو الأميرِ لابنه عن التاج، إذ قبّلَ يده وأجلسه على العرشِ، فاعترضَ الابن البارّ في البداية إلاّ أنّه أطاع رغبة والده في نهاية المطاف. واستمرّت الاحتفالات بذلك الزَفافِ طيلة ثلاثة أشهر، لكنّ حبَّ الزّوجين كانَ سيستمرّ إلى يومنا هذا، لو لم يموتا بعد زواجهما ذاكَ بمائةِ عام.

**العِبرة**

من السّهلِ أن نُدركَ أنّ مغزى هذه الحكاية

هو أنّ كلَّ صغيرٍ ينبغي أن يَعْلم

أنّ مُقاساةَ أفظعَ المِحَنِ لهيَ أفضل

من مجافاةِ روح الواجِب

وأنّ الفضيلةَ يمكنُ أن تكون عاثرةَ الحظّ زمناً،

بيدّ أنّها في نهايةِ المطافِ ظافرةٌ دوماً.

**عِبرة أخرى**

حكايةُ جِلدِ الحِمَارِ قد يصعبُ تصديقُها

لكنْ طالما وُلِدَ في هذا العالم أطفال

وكانَ لهم جدّاتٌ وأُمّهات

فسيظلّ الجميعُ يتذكّرونَها.

# Notes

[←1]
الحواشي التي ترافق بعض الحكايات هي من وضع محرّر الكتاب.

[←2]
العرّاب أو العرابّة شخص يتعهّد الطفل بالرّعاية إلى جانب أبوَيه فيكون له بمثابة أب أو أمّ روحيّ.

[←3]
مخزن الغِلال حجرة معزولة تقع خارجَ المنزل الريفيّ أو في أعلاه، تُستخدَم لحفظ الحبوب والخضار الجافّة المخصّصة للاستهلاك العائليّ أثناء السّنة.

[←4]
أي من سحَرة الجنّ وسَعاليهم. مفردها «غُول» للمذكّر والمؤنّث، كما في قول الرّجّاز: «إنّكَ غولٌ ولدتْكَ غولُ» (المحرّر).

[←5]
القَلَنْسُوة غطاء للرّأس.

[←6]
مثلما تمّت الإشارة إليه من قبل، فإنّ لهذه الحكاية صيَغاً أخرى تنتهي نهاية سعيدة. في بعض هذه الصّيَغ تفطن الجدّة وحفيدتها «ذات القلنسوة الحمراء» إلى ما ينويه الذّئب وتتفاديانه. وفي صيغة الأخوَين غريمْ، المنشورة بالألمانيّة في 1857، أي بعد صدور حكاية بيرّو بأكثر من قرن ونصف القرن، ينجح صيّادٌ بقتل الذئب ويُخرج من بطنه الفتاة وجدّتها حيّتَين .ومن الواضح أنّ بيرّو وضع للحكاية نهاية حزينة ليؤكّد على ضرورة الاحتراس من الأشرار وأصحاب المكر، الذين يرمز هنا إليهم بالذئاب.

[←7]

خلعَ القطّ على صاحبه لقب «مركيز»، وهو من ألقاب النبلاء وملاّكي الأراضي والإقطاعات في أوربا في العصر الوسيط.

[←8]
معنى الاسم هو «فتاة الرّماد»، ولهذا المعنى، وكما سيرى القارئ بنفسه، دلالة هامّة في مجرى الحكاية. ويقف القارئ في الفقرة الثالثة من النصّ على مصدر هذا الاسم المعطى لبطلة الحكاية.

[←9]
هي الخُصْلةُ من الشّعَر تُترَك على رأْس الصّبيّ.

[←10]
تصغير «إصبَع»، ويأتي تفسير الاسم في نهاية الفقرة الثانية من النصّ. وهذه الحكاية معروفة في العربيّة بعنوان تقريبيّ هو «عقلة الإصبَع».

[←11]
انظر بخصوص مصدر هذه الحكاية «إضاءات»، في بداية هذا الكتاب.